صلح الامام‌الحسن بين الواقع و ظلم التاريخ (دراسه تحليليه)

اشارة

سرشناسه : دوخی، یحیی‌عبدالحسن

عنوان و نام پدیدآور : صلح الامام‌الحسن بین الواقع و ظلم التاریخ (دراسه تحلیلیه)/ یحیی‌عبدالحسن الدوخی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۱.

مشخصات ظاهری : ۱۳۵ ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۹۹-۵

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه: ص. [۱۲۳] - ۱۳۰؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : حسن‌بن علی (ع)، امام دوم، ۳ - ۵۰ق -- صلح با معاویه

موضوع : حسن‌بن علی (ع)، امام دوم، ۳ - ۵۰ق -- سرگذشتنامه

موضوع : معاویهٔ بن ابی سفیان. خلیفه اموی، ۲۰ قبل از هجرت - ۶۰ق.

رده بندی کنگره BP۴۰/د۸۴ص۸ ۱۳۹۱

رده بندی دیویی : ۹۵۳/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : ۲۸۶۷۱۸۸

ص:۱

دیباجة

ص:۷

لا نغالی إذا قُلنا إنَّ صُلح الإمام الحسن (ع) له من الأهمیة بمکان؛ بحیث یُشکل منعطفاً تأریخیاً فی مسیرة الأمة الإسلامیة، وکذلک یُعبِّر عن تأسیس لمرحلة جدیدة - من الفهم والإدراک فی عقلیّة وذهن المسلمین - لمسار الأحداث الجاریة التی رسمها الخط الأُموی بشکل مغایر لما عاشه المسلمون فی زمن رسول الله (ص) ؛ فتصدی الإمام الحسن بصلحه لانحرافٍ کاد یعصف بمفهوم الرسالة المحمدیة ویطیح بمفاهیمها السامیة التی بذل فی سبیلها رسول الله (ص) کل غال ونفیس.

وعلى الرغم من هذه الأهميهٔ الكبيرهٔ لهذا الحدث التأريخى – للأسف – لم نجد يد المؤرخين وأصحاب السِّير قد تناولته بإنصاف وموضوعيهٔ، فقد رُسِمت صورته مقطّعهٔ الأوصال، وفى بعض الأحيان بشكل مقلوب، فكوّنت فى النتيجهٔ صورهٔ غير واضحهٔ الملامح متفرقهٔ ومتشتتهٔ لا تنمّ عن الحقيقهٔ كاملهً. . .

ومن الطبيعى والحال هذه أن تُثار بعض الشبهات حول ماهيهٔ الصلح وما يدور حوله من أحداث . . .

ص:٨

من هنا جاء هذا الكتاب ليوّضح معالم وثيقهٔ هذا الصلح وأسبابه ونتائجه وثمراته، ويدفع بعض الشبهات التى أثيرت حوله، وبذلک يضع المحقق والأستاذ الدكتور (يحيى عبد الحسن الدوخى) يده على الجرح؛ ليكشف مجريات هذه الأحداث بتحقيق علمى رصين، جَمَع فيه بعض النصوص و الروايات و قام بتحليلها و دراستها بشىء من التفصيل؛ ليضع الحقائق فى نصابها الصحيح.

وضمناً يتقدم معهد الحج والزيارهٔ بالشكر والتقدير للجهود المبذولهٔ للأستاذ العزيز، سائلين المولى العلّى القدير أن يتقبل منه هذا العمل، وفى الوقت ذاته أن تكون هذه الأبحاث وما تحمله من حقائق ناصعهٔ مدعاهٔ لتوحيد الأمهٔ، ورصف صفوفها حول عترتها الطاهرهٔ، الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

و الله ولى التوفيق

قسم الكلام و المعارف

معهد الحج والزيارهٔ

ص:٩

المقدّمهٔ

إنَّ صياغهٔ التاريخ الإسلامى للمفردات التى تحدّث عنها، قد أضفت عليه الكثير من الغموض وعدم الوضوح فى جملهٔ كبيرهٔ من الوقائع والأحداث، مع ما لها من الأهمّيهٔ والحساسيهٔ بالنسبهٔ للمسلمين. ولعلَّ واحدهٔ من هذه المفردات هى صُلح الإمام الحسن (ع) ؛ فالتأريخ قد أسدل الستار على تلكم الوقائع، والتى لو بانت وأُفصح عنها، لتغيَّرت كثير من الأحكام، التى قد صدرت عن البعض بغير وجه حق.

ونحن هنا لسنا بصدد محاكمهٔ من قاموا بذلک، ولكنَّنا نريد النظر فى حقيقهٔ الأمر، من جههٔ كونها حادثهٔ تاريخيهٔ.

فعلى سبيل الفرض، نجد أنَّ الطبرى عندما يتكلّم حول وثيقهٔ الصلح مع معاويهٔ، لم يذكر لنا تلک البنود التى فرضها الإمام الحسن على معاويهٔ، بل اكتفا بنقل عبارهٔ توحى بأنَّ معاويهٔ فتح الباب على مصراعيه بقبول شروط الإمام (ع) . ونصّ ما

قال:

»قد ارسل معاوية إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها [بختمه]، وكتب إليه: أنْ اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها ما

ص:١٠

شئت، فهو لک(١). «

ثم قُطِع الحديث، فلم يذكر بعد ذلک ما كتب الإمام الحسن (ع) على صحيفة معاوية.

و مَن يتتبَّع المصادر التاريخية التى ذكرت بنود الصلح وشروطه فلن يجد سوى النزر اليسير من توثيق هذا الحدث التأريخى المهم.

وكذلک انعكس هذا الأمر فى روايات بعض المحدِّثين؛ فإنَّنا نجد الذهبى قد اختزل هذا الحدث بروايةٍ ينقلها عن الحسن البصرى، عن أبىموسى:

استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: والله إنّى لأرى كتائب لا تولى أو تقتل أقرانها.

وقال معاوية، وكان خير الرجلين: أرأيت إنْ قتل هؤلاء هؤلاء، مَن لى بذراريهم، مَن لى بأمورهم، مَن لى بنسائهم؟ قال:

فبعث عبد الرحمن بن سمرة، فصالح الحسن معاوية وسلّم الأمر له(٢) .

فهنا نلاحظ اختزال تاريخ الإمام الحسن تماماً، وما قام به من دور، فى الصلح مع معاوية، معاوية الذى وصفه العقّاد شارحاً سياسته:

كانت له حيلته التى كرَّرها وأتقنها وبَرع فيها، واستخدمها مع خصومه فى الدولة، من المسلمين وغير المسلمين، وكان قوام تلک الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخذيل بين خصومه؛ بإلقاء الشُبهات بينهم، وإثارة الإحن فيهم، ومنهم مَن كانوا مِن أهل بيته وذوى قرباه. كان لايطيق أن يرى رجلين ذوى خطر على وفاق. . . فلو أنَّه استطاع أنْ

-١تاريخ الطبرى، ج ۴، ص١٢۴.

-٢تاريخ الإسلام، الذهبى، ج۴، ص ٣٨.

ص:١١

يجعل من كلّ رجل فى دولته حزباً منابذاً لغيره من رجال الدولة كافة لفعل، ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح، لما وصفه بغير مُفرِّق الجماعات(١). . . .

فمعاوية سياسته قائمة على الحيلة والتفريق وإثارة الإحن، ولو حاسبه التأريخ حسابه الصحيح – كما يقول العقاد – لوصفه بمفرِّق الجماعات.

ومع هذا كلّه، نجد الذهبى يجعله كالحمل الوديع، مختصراً تلك الحُقبة بكلماتٍ لا تكاد تنحصر بخمسة أسطر، ومَن دقَّق فيها يجد الغرابة؛ فمعاوية الذى هو خير الرجلين، يتحسّر أسفاً على الذرارى والنساء لو قام الإمام الحسن بالقتال!

ثُمَّ إنَّ عمرو بن العاص رأى كتائب لا تولى، كنايةً عن كثرة الجيش، فنسأل: ما هى الأسباب التى أدَّت إلى الصلح مع هذه الكثرة الكاثرة من الكتائب أمثال الجبال؟

وما هى مُجريات الأحداث التى برزت فى تلكم الفترة، بحيث إنَّ الإمام سرعان ما يقبل من عبد الرحمن بن سمرة، فيصالح ويسلِّم الأمر إلى معاوية؟!

وللأسف أنَّنا نجد مَن ينقل هذه الروايات ويتبَّناها. ونذكر – على سبيل المثال لا الحصر – الهيتمى فى صواعقه، يقول:

وبعد تلك الأشهر الستة، سار إلى معاوية فى أربعين ألفاً، وسار إليه معاوية، فلمَّا تراءى الجمعان، علم الحسن أنَّه لن يغلب أحد الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فكتب إلى معاوية بخبر، أنَّه يصيّر الأمر إليه،

-١معاوية، العقاد، صص ٣٦ و ٣٧.

على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء ممَّا كان أيام أبيه، وعلى أن يقضى عنه ديونه. فأجابه معاوية إلى [ما] طلب إلاَّ عشرة، فلم يزل يراجع حتى بعث إليه برقّ أبيض، وقال: اكتب ما شئت فيه، فأنا التزمه، كذا فى كتب السِّير(١).

هذه هى السير التى نقل منها ابن حجر، وللأسف نجد أنَّ مَن يأتى من بعده يعتمد هذا النقل الخالى من الموضوعية، فيتجنّى على التأريخ؛ فيحمّل الإمام الحسن (ع) مسؤولية الصلح وتسليم الأمر إلى معاوية، وإعطاءه قيادة الأُمَّة، وأنَّه كان يرغب فى التخلّى عن مركز الحكم، تهرُّباً من مسؤوليات الحرب؛ لأنَّه راغب للسّلم أكثر منه للحرب.

ولكنَّ هذا التبرير باطل جزماً؛ لأنَّ مواقف الإمام الحسن فى ميدان الحرب تشهد بفروسيته وبطولته، يقول كامل سليمان، واصفاً شجاعته:

فهو من أركان الحرب عند أبيه، ومن أُمراء جيشه، وهو منه ساعد قوى ومعوان عظيم، فأبوتراب يزحف وأولاده من حوله، يشدّون أزره، ويسندون ظهره، وكلّهم ليث قاصم الضربة(٢).

والذی یؤکّد هذا الکلام؛ مواقفه فی حرب الجمل وغیرها، فقد روی ابن شهر آشوب:

دعا أمیر المؤمنین (ع) محمد بن الحنفیهٔ یوم الجمل، فأعطاه رمحه وقال له: اقصد بهذا الرمح قصد الجمل، فذهب فمنعوه بنو ضبهٔ، فلمّا رجع إلی

-۱الصواعق المحرقهٔ، ابن حجر الهیتمی، ج۲، ص ۳۹۸.

-۲الحسن بن علی، کامل سلیمان، ص ۳۵.

والده، انتزع الحسن رمحه من یده، وقصده قصد الجمل وطعنه برمحه، ورجع إلی والده وعلی رمحه أثر الدم، فتمغَّر وجه محمد من ذلک، فقال أمیرالمؤمنین: لا تأنف، فإنَّه ابن النبی وأنت ابن علی(۱).

فابن النبی (ص) لا یهاب تلک الجیوش، وتقدَّم برباطهٔ جأش، لیُطیح بذلک الجمل، الذی یُعَدّ الرمز لتلک المعرکهٔ.

إذن، فالتأریخ – لمَن یتفحّصه بعین الباحث عن الحقیقهٔ – لم یُنصف الإمام الحسن (ع) فی هذا الحدث المهم والمفصلی من تأریخ البشریهٔ.

لذا سنلقی الضوء علی مجریات هذا الحدث التأریخی، وذلک من خلال ثلاثهٔ فصول:

الأوَّل: قبسات من حیاهٔ الإمام الحسن (ع) ، وخلافته وإمامته، مروراً ببیعته؛

الثانی: الصلح وأسبابه ونتائجه وثمراته؛

الثالث: دفع بعض الشبهات التی أُثیرت حول الصلح.

یحیی عبد الحسن هاشم / قم المقدسهٔ

@yahoo. com۱۱۹۶۸yahya

-۱مناقب آل أبی طالب، ابن شهر آشوب، ج ۳، ص ۱۸۵.

الفصل الأوَّل: الإمام الحسن (ع(

اشاره

حياة الإمام الحسن المجتبى (ع(

نسبه وولادته

الحسن بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام السيد، ريحانة رسول الله (ص) وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد القرشى الهاشمى المدنى الشهيد(١).

وهو ثانى أئمَّة أهل البيت الطاهر، وأوَّل السبطين، وأحد الخمسة أصحاب العبا، أُمّه فاطمة بنت رسول الله (ص) ، سيدة نساء العالمين(٢).

الولادة الميمونة وشَبَهَه برسول الله (ص(

ولد فى النصف من شهر رمضان، فى السنة الثالثة من الهجرة؛ قاله ابن سعد وابن البرقى(٣).

وقال السيد محسن الأمين:

١-سير أعلام النبلاء، الذهبى، ج٣، ص٢٤۶.

٢-أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج١، ص ۵۶٢.

٣-الإصابة، ابن حجر العسقلانى، ج ٢، ص ۶٠.

ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان، على الصحيح المشهور بين الخاصة والعامة، وقيل فى شعبان، ولعلَّه اشتباه بمولد أخيه الحسين (ع) سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة، وقيل غير ذلك، ولكنَّ المشهور الأثبت أحد هذين(١).

وعند ولادته المباركة عقَّ عنه رسول الله (ص) وتصدّق بوزن شعره على المساكين. رُوى عن أبى رافع، قال: «لمَّا ولدتْ فاطمة حسناً، قالت: يا رسول الله، ألا أعقّ عن ابنى بدم؟ قال: لا، ولكن احلقى رأسه، وتصدَّقى بوزن شعره فضة على المساكين، ففعلتْ(٢). »

وروى ابن عباس: «أنَّ النبى (ص) عقَّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً(٣). »

وأمَّا شبهه برسول الله (ص) ، فقد روى ابن حجر العسقلانى، عن عبدالله بن الزبير، قال:

أنا أحدِّثكم بأشبه أهله به وأحبَّهم إليه، الحسن بن على، رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال ظهره، فما يُنزله

حتى يكون هو الذى ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع، فيفرج له بين رجليه، حتى يخرج من الجانب الآخر(۴).

وقال الذهبى: «وكان يشبه جدَّه رسول الله (ص(۵). «(

۱-أعيان الشيعة، ج۱، ص ۵۶۲.

۲-الإصابة، ج ۲، ص۶۰.

۳-سير أعلام النبلاء، ج ۳، ص ۲۴۸.

۴-المصدر نفسه، ص ۲۴۹؛ الاصابة، ج۳، ص ۶۲.

۵-سير أعلام النبلاء، ج ۳، ص۲۴۶.

فضائله (ع(

مَن أحب الحسن والحسين، فقد أحبَّ الرسول، ومَن أبغضهم فقد أبغضه (ص. (

بلغ حبُّ رسول الله (ص) لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) الذروة، وليس هذا الحب نابعاً من عاطفة فقط، بل رُتِّب عليه الحبّ والبغض لله تعالى؛ لأنَّ مَن أحبّهم فقد أحبَّ الله (تعالى) ، ومَن أبغضهم فقد أبغض الله تبارک وتعالى.

روى ابن حجر عن أبى هريرة قال:

خرج علينا رسول الله (ص) ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرَّة وهذا مرَّة، حتى انتهى إلينا، فقال: من أحبَّهما فقد أحبَّنى، ومَن أبغضهما فقد أبغضنى(۱).

وروى الشيخ المفيد عن النبى:

مَن أحبَّ الحسن والحسين (عليهما السلام) ، أحببته، ومَن أحببته أحبَّه الله، ومَن أحبَّه الله (عزّوجلَّ) أدخله الجنة، ومَن أبغضهما أبغضته، ومَن أبغضته أبغضه الله، ومَن أبغضه الله خلَّده فى النار(۲).

وكذلک روى زهير بن الأقمر: «بينما الحسن بن على (ع) يخطب، بعدما قُتل على (ع) ، إذ قام رجل من الأزد آدم طوال، فقال: لقد رأيت رسولالله (ص) واضعه فى حبوته يقول: مَن أحبَّنى فليحبّه، فليبلِّغ الشاهد الغائب(۳) . «

وحسّن الترمذى حديث أسامة بن زيد؛ إذ قال:

-١الإصابة، ج ٢، ص٦٢.

-٢الإرشاد، ج٢، ص٢٨.

-٣الإصابة، ج ٢، ص٦٢.

ص:٢٠

خرج رسول الله (ص) ليلة وهو مشتمل على شيء قلت: ما هذا؟ فكشف، فإذا حسن وحسين على وركيه، فقال: هذان ابناى وابنا بنتى، اللّهم إنّى أحبّهما فأحبّهما، وأحبّ مَن يحبّهما(١).

ولا يخفى أنَّ ذريته (ص) انحصرت بالحسن والحسين (عليهم السلام) ، وهما من الأربعة الذين باهل بهم رسول الله (ص) نصارى نجران. قال الحاكم:

قد تواترت الأخبار فى التفاسير، عن عبدالله بن عباس وغيره، أنَّ رسولالله (ص) أخذ يوم المباهلة بيد على وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم، ثُمَّ قال: هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا، فهلمّوا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم، ثُمَّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين(٢).

والحسن (ع) من المطهَّرين المعصومين الذين أُذهب عنهم الرجس بشهادة آية التطهير، قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) . (الأحزاب: ٣٣(

ومن القربى الذين أمر الله بمودّتهم، قال تعالى: قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى . (الشورى:٢٣(

وأحد الثقلين الذين مَن تمسّک بهما نجا، ومَن تخلّف عنهما ضلّ وغوى، كما رواه مسلم بن الحجاج النيسابورى فى صحيحه، عن زيد بن أرقم، عن رسول الله (ص: (

وأنا تارک فيكم ثقلين، أوّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثُمَّ قال:

-١سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص٢٥١.

-٢معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابورى، ص ٥٠.

ص:٢١

وأهل بيتى، أذكّركم الله فى أهل بيتى، أذكّركم الله فى أهل بيتى، أذكّركم الله فى أهل بيتى(١) . . . .

وفی مسند أحمد: «إنّی تارک فیکم خلیفتین، کتاب اللّه حبل ممدود ما بین السماء والأرض – أو ما بین السماء إلی الأرض – وعترتی أهل بیتی، وإنّهما لن یتفرّقا حتی یردا علیَّ الحوض(۲). «

-۱صحیح مسلم، مسلم النیسابوری، ج ۷، ص۱۲۳.

-۲مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج۵، ص۱۸۲.

خلافة الإمام الحسن وإمامته

اشاره

من الضروری قبل أن نشرع فی ماهیة الصلح وظروفه وأسبابه ونتائجه، أن نبیِّن أنَّ خلافة الإمام الحسن قد نصَّ علیها رسول الله (ص) ، الذی لا ینطق عن الهوی إن هو إلَّا وحیٌ یُوحی فهو الخلیفة الشرعی، سواء بایعه الناس أو لم یبایعوه، وکل فعل وتصرّف یصدر عنه فهو فی إطار الحق، الذی یجب علی الأُمَّة أن تذعن له ولا تتخلَّف عنه، ولا یحق لمعاویة وغیره أن یتجاوز هذه النصوص التی بشّر بها رسول الله وأمیرالمؤمنین (علیهما أفضل الصلاة والسلام. (

ومن تلک النصوص ما رواه البخاری فی الصحیح، فی کتاب الأحکام، عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبی (ص) یقول: یکون اثنا عشر أمیراً، فقال کلمة لم أسمعها، فقال لی: إنَّه قال: کلّهم من قریش (۱). «

-۱صحیح البخاری، ج۸، ص۱۲۸. الحدیث لا تطبیق صحیح له سوی ما تقول به الشیعة فی إمامة الاثنی عشر؛ لذا وقع علماء أهل السّنه فی مسیرة التطبیق والمصداق لهذا فی مصداق هذا الحدیث، ووقعوا فی تناقض کبیر عندما فسَّروه. وقد علّق الشیخ محمود أبو ریّة علی ما أورده السیوطی، قال: «أمّا السیوطی، فبعد أن أورد ما قاله العلماء فی هذه الأحادیث المشکلة، خرج برأیٍ غریب، نورده هنا تفکهةً للقراء، وهو: وعلی هذا فقد وجد من الاثنی عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاویة وابن الزبیر وعمر بن عبدالعزیز، وهؤلاء ثمانیة، ویحتمل أن یضمَّ إلیهم المهدی من العباسیین؛ لأنَّه فیهم کعمر بن عبد العزیز فی بنی أُمیة، وکذلک الظاهر، لما أوتیه من العدل، وبقی الاثنان المنتظران، أحدهما المهدی، لأنه من أهل بیت محمد! ولم یبیِّن المنتظر الثانی» . أضواء علی السنة النبویة، محمود أبو ریة، ص۲۳۵.

ص:۲۴

وهؤلاء الأئمَّة هويتهم أنَّهم من قريش، بل ومن بنى هاشم تحديداً، كما رُوى ذلک عن عبد الملک بن عمير، عن جابر بن سمرة:

كنت مع أبى عند رسول الله (ص) فسمعته يقول: بعدى اثنا عشر خليفة، ثُمَّ أخفى صوته، فقلت لأبى: ما الذى [قال فى] أخفى صوته؟ قال: قال: كلّهم من بنى‌هاشم((۱).

وجاء تفصيل رسول الله (ص) لهذا الحديث وبيان مصداقه، فى حديث اللوح المشهور، كما نقله الجوينى(۲) ؛ شيخ الذهبى، عن جابر بن عبدالله

۱-ينابيع المودة، القندوزى الحنفى، ج۲، ص۳۱۵. وأما ترجمة القندوزى، فهو: سليمان بن خوجه إبراهيم قبلان الحسينى الحنفى القندوزى، فاضل، من أهل بلخ، مات فى القسطنطينية. له ينابيع المودَّة فى شمائل الرسول ص وأهل البيت. انظر: الأعلام، الزركلى، ج۳، ص ۱۲۵.

۲-ترجمه الذهبى فى معجم شيوخه، فهو تلميذه، وهذا أمر فى غاية الأهميّة؛ إذ غالباً ما يُتَّهم هذا الرجل بكونه شيعياً، وهذه تهمة باطلة لا أساس لها من الصحة، فالذهبى المتشدِّد يتلمذ على يديه، ويمدحه و يُطرى عليه، بكونه، الإمام الكبير وشيخ المشائخ، وأنّه ذو دين، قال: «إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبدالله بن على بن محمد بن حموية، الإمام الكبير المحدث، شيخ المشائخ، صدر الدين، أبوالجامع الخراسانى الجوينى الصوفى، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة، وسمع بخراسان وبغداد والشام والحجاز، وكان ذا اعتناء بهذا الشأن» . وقال فى تذكرة الحفاظ: «الإمام المحدِّث، الأوحد الأكمل، فخر الإسلام، صدر الدين، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الخراسانى الجوينى، شيخ الصوفية. . . وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء، حسن القراءة، مليح الشكل، مهيبا ديّناً صالحاً، مات سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة» . انظر: معجم شيوخ الذهبى، ج ۱، ص ۵۰؛ تذكرة الحفاظ، ج۴، ص ۱۵۰۶.

ص:۲۵

الأنصارى، فى صحيفة فاطمة (عليها السلام) ، حيث ذكر أسماءهم واحداً تلو الآخر، ونصَّ على إمامته(۱) .ومن النصوص أيضاً ما ورد عن رسول الله (ص) قوله: «الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا(۲). «فأوجب لهما الإمامة بموجب القول، سواء نهضا بالجهاد، أو قعدا عنه، دعيا إلى نفسيهما، أو تركا ذلک.

وقال (ص) للحسين (ع: (

»أنت إمام، ابن إمام، أخو إمام(۳). «

وقوله (ص) له ولأخيه الحسين:

»أنتما الإمامان، ولأُمِّكما الشفاعة(۴). «

وأمّره أبوه أمير المؤمنين – منذ اعتل – أن يصلِّي بالناس، وأوصى إليه عند وفاته قائلاً:

يا بنى، أمرنى رسول الله أن أوصى إليک، وأن أدفع إليک كتبى وسلاحى، كما أوصى إلىَّ رسول الله ودفع إلىَّ كتبه وسلاحه، وأمرنى أن آمرک إذا حضرت الموت أن تدفع إلى أخيک الحسين. . . ثم أقبل على ابنه الحسن، فقال: يا بنى، أنت ولى الأمر وولى الدم(۵).

فدلَّت وصية أمير المؤمنين إلى الحسن على إمامته، بحسب ما دلَّت وصية

-۱فرائد السمطين، الجوينى الشافعى، ج۲، صص۱۴۱ ۱۳۶؛ الكافى، الكلينى، ج ۱، صص۵۲۷ – ۵۲۸.

-۲الإرشاد، المفيد، ج۲، ص ۳۰؛ الفصول المختارة، الشريف المرتضى، ص۳۰۳؛ ورواه من طرق أهل السنة، المولوى صديق حسن خان القنوجى، انظر: خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوى، ج ۴، ص ۳۰۴.

-۳الرسائل العشر، الشيخ الطوسى، ص ۹۸. ومن مصادر السنة رواه الشيخ البلخى، خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوى، ج ۴، ص ۳۰۴.

-۴الفصول المهمة فى معرفة الائمة، ابن الصباغ، ج ۱، ص۶۶۶؛ كشف الغمة، الأربلى، ج ۲، ص۱۲۹.

-۵الكافى، ج ۱، صص ۲۹۹ ۲۹۸.

ص:۲۶

رسول الله (ص) إلى أمير المؤمنين على إمامته من بعده.

إذن، فالنصوص جليَّة واضحة فى إمامته وخلافته. ثُمَّ ننتقل فى تسلسل البحث إلى بيعته (ع. (

بيعته (ع(

(۱)

أوَّل خطاب وجَّهه الإمام الحسن (ع) للأُمَّة، بعد عودته وأهل بيته، بعد ما شُيِّع أمير المؤمنين إلى قبره الطاهر؛ خرج عبدالله بن عباس(۲)

إلى الناس وقال: إنَّ أمير المؤمنين توفى، وقد ترک لكم خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد على أحد،

فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا(٣).

فخرج الإمام الحسن (ع) ، فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال:

لقد قبض فى هذه الليلة رجل لا يسبقه الأوّلون بعملٍ، ولا يدركه الآخرون، وقد كان رسول الله (ص) يعطيه رايته، فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه(٤)، وما ترك على أهل الأرض صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطاياه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثُمّ قال: أيُّها الناس، مَن عرفنى فقد عرفنى، ومَن لم

١-إنَّ بيعة الناس ليست شرطاً فى إمامة الإمام، وإنّما على الناس أن يبايعوا مَن أرادته النصوص النبوية، ولا تصحّح الإمامية بيعة غيره، ولا تقع من أحدهم إلّا اضطراراً. وقضت الظروف بدوافعها الزمنيّة، أن لا يبايع الناس من الأئمّة المنصوص عليهم إلّا الإمامين علياً والحسن عليها السلام . انظر: صُلح الحسن، آل الراضى، ص ٥۴.

٢-الصحيح هو عبيدالله بن عباس؛ لأنَّ عبدالله بن عباس كان فى مكة، والمظنون أنّ اتحاد الأخوين أباً، وتشابه اسميهما كتابة، هو الذى أثار الخطأ فى النسبة إليهما. انظر: صُلح الحسن، آل الراضى، ص١٠٥.

٣-شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج ١۶، ص ٢٢.

۴-مسند أحمد، ج١، ص ١٩٩.

يعرفنى فأنا الحسن بن على، وأنا ابن النبى، وأنا ابن الوصى، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعى إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذى كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الّذين افترض الله مودَّتهم على كل مسلم، فقال تبارک وتعالى لنبيه (ص) : (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً) ، فاقتراف الحسنة مودَّتنا أهل البيت(١).

ثُمَّ جلس فقام عبدالله بن عباس (رحمة الله) بين يديه، فقال:

معاشر الناس، هذا ابن نبيكم، ووصى إمامكم، فبايعوه. فاستجاب له الناس وقالوا: ما أحبّه إلينا، وأوجب حقه علينا، وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة، وذلک فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر رمضان، سنة أربعين من الهجرة(٢) .

وبعد أن بايعته الأُمَّة، خطب خطابه البليغ، حيث وضع الأمور فى نصابها الصحيح، فألزم الناس الحجة، بأنَّ آل محمد هم أصحاب الحق الشرعى، وأنَّهم الصراط المستقيم، فهم حزب الله الغالبون، وهم عترة رسول الله، والأقربون إليه من غيره،

فيجب الطاعة والانقياد لهم، ثمَّ حذّرهم من الإصغاء لهتاف الشيطان (ويقصد به معاوية) ؛ فإنّه لكم عدوّ مبين.

قال (ع: (

نحن حزب الله الغالبون، ونحن عترة رسوله الأقربون، ونحن أهل بيته

-١المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیسابوری، ج٣، ص ١٧٢.

-٢الإرشاد، ج ٢، صص٨ – ٩؛ ینابیع المودّة، ج٢، صص٢١٢٢١٣؛ مقاتل الطالبیین، أبوالفرج الأصفهانی، ص٣٣؛ شرح نهج‌البلاغة، ابن أبی الحدید المعتزلی، ج١۶، ص ٣٠.

ص:٢٨

الطیّبون، ونحن أحد الثقلین الذین خلّفهما جدّی (ص) فی أُمّته، ونحن ثانی کتاب الله، فیه تفصیل کل شیء، لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه، فالمعول علینا تفسیره، ولا نتظنَّن تأویله، بل تیقَّنا حقائقه، فأطیعونا، فإنَّ طاعتنا مفروضة؛ إذ کانت بطاعة الله (عزَّوجلّ) وطاعة رسوله مقرونة، قال (جلَّ شأنه) : (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ) ، وقال عز وجل: (وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) ، واحذروا الإصغاء لهتاف الشیطان، فإنّه لکم عدو مبین(١).

سیاسة معاویة بعد بیعة الإمام الحسن (ع(

بعد أن تمت البیعة، قام الإمام (ع) بدوره فی إدارة الدولة الإسلامیة، فاختار العمال والولاة علی المناطق الإسلامیة، ورسم مُخطَّطاً لتنظیم شؤون الدولة، وإعداد مستلزمات إدارة النظام السیاسی فی الأُمّة.

قال أبو الفرج الاصفهانی(٢):

-١ینابیع المودة، ج١، ص ٧۴.

-٢ترجمه الخطیب البغدادی قائلاً: «علی بن الحسین بن محمد بن أحمد بن الهیثم بن مروان بن محمد بن مروان بن الحکم بن أبی العاص، أبو الفرج الأموی، الکاتب المعروف بالأصبهانی. . کان عالماً بأیام الناس والأنساب والسیرة، وکان شاعراً محسناً، والغالب علیه روایة الأخبار والآداب، وصنَّف کتباً کثیرة، منها: الأغانی الکبیر و مقاتل الطالبیین . حدثنا التنوخی عن أبیه قال: ومن الرواة المتّسعین الذین شاهدناهم، أبوالفرج علی بن الحسین الأصبهانی، فإنّه کان یحفظ من الشعر،

والأغانى، والأخبار، والآثار، والحديث المسند. . . قال العلوى: وكان أبو الحسن البتى يقول: لم يكن أحد أوثق من أبى الفرج الأصبهانى. سمعت أبا نعيم الحافظ يقول: توفى أبوالفرج على بن الحسين الأصبهانى الكاتب ببغداد، فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة» . انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى، ج ١١، ص ٣٩٨.

ص:٢٩

ثُمَّ نزل من المنبر، فرتَّب العمال، وأمر الأمراء، ونظر فى الأمور، وأنفذ عبدالله بن العباس إلى البصرة. قال: وكان أوَّل شىء أحدثه الحسن [بن على (ع)] أنَّه زاد المقاتلة مائة مائة، وقد كان على (ع) أبوه فعل ذلک يوم الجمل، والحسن [(ع)] فعله على حال الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعد ذلک(١).

وحين علم معاوية ببيعة الإمام، بدأت نوازع الشر والخداع تعتمل فى نفسه، لخلق جوٍّ من البلبلة وإشاعة الفتنة بين الناس، والغرض هو إضعاف الدولة الفتية التى حكمها الإمام الشرعى، وإضعاف ثقة الناس بسياسته وحكمته.

وأوَّل عمل قام به هو: إرسال الجواسيس إلى عاصمة الدولة الإسلامية فى الكوفة، ومدينة البصرة ذات الثقل السياسى والاجتماعى.

قال الشيخ المفيد:

لمَّا بلغ معاوية بن أبى سفيان وفاة أمير المؤمنين (ع) ، وبيعة الناس الحسن (ع) ؛ دسَّ رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بنى القين إلى البصرة، ليكتبا إليه بالأخبار ويُفسدا على الحسن (ع) الأمور(٢).

ولكن خطة التآمر التى قادها معاوية فشلت، وأحبط الإمام الحسن هذا المخطَّط الخبيث.

قال الشيخ المفيد (رحمة الله: (

فعرف ذلک الحسن (ع) ، فأمر باستخراج الحميرى من عند حجام

١-مقاتل الطالبيين، ص ٣٤؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٧۶.

٢-الارشاد، ج٢، ص ٩.

ص:٣٠

بالكوفة، فأُخرج، فأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة فاستُخرج القينى من بنى سليم وضُربت عنقه(١).

وبعد أن رأى الإمام أنَّ منهج معاوية يقوم على الخديعة والمكر، أرسل له خطاباً شديد اللهجة، يعلن فيه استعداده لخوض الحرب ضدَّ جبهة التمرّد التى بدأها معاوية.

تبادل الرسائل بين الإمام الحسن (ع) ومعاوية

وارسل الامام رسالة للمعاوية وجاء فى الخطاب:

أمَّا بعد، فإنَّک دسست إلیّ الرجال للاحتیال والاغتیال، وأرصدت العیون، کأنَّک تحب اللقاء، وما أشک فی ذلک، فتوقعه إن شاء الله، وقد بلغنی أنک شمتّ بما لا یشمت به ذوو الحجی، وإنَّما مثلک فی ذلک کما قال الأوَّلون:

وقل للذی یبغی خلاف الذی مضی

تجهزّ لأخری مثلها فکأنّ قد

وأنا و من قد مات منّا لکالذی

یروح فیمسی فی البیت لیفتدی(۲)

ولو تأمَّلنا بمفردات هذه الرسالة، نجد أنَّ الإمام (ع) قد درس شخصیة معاویة بصورة دقیقة، فهو ذلک الرجل المحتال والغادر، وهو لایشک طرفة عین أنَّ معاویة یرید الحرب؛ لذا صرَّح بوضوح تام (وما أشک فی ذلک) ، فأراد الإمام أن یُبرز جانب القوة فی وجه معاویة ودسائسه. ومن جهة أخری، أراد (ع) أن یمتلک زمام المبادرة فی تقریر الحرب، فی قوله (فتوقّعه إن

-۱الارشاد، ج۲، ص ۹.

-۲مقاتل الطالبین،ص ۴۳۳؛ شرح نهج البلاغه، ابن ابی الحدید، ج۱۶،ص۳۱

شاء الله) ؛ لکی یزرع الثقة فی جیشه وأصحابه، وفی هذا الفعل عزّة الإسلام وقوته.

لذا جاء جواب معاویة علی رسالة الإمام الحسن خالیاً من الإثارة، ونلمس فیه التملُّق للإمام وإبعاد نفسه عن قضیة إرسال الجواسیس. ونص ما کتبه معاویة:

أمَّا بعد، فقد وصل کتابک، وفهمت ما ذکرت فیه، ولقد علمت بما حدث، فلم أفرح، ولم أشمت، ولم أیأس، وأنَّ علی بن أبی طالب کما، قال اعشی بن قیس بن ثعلبة:

وأنت الجواد وأنت الذی إذا ما القلوب ملأن الصدورا و ما مزید من خلیج البحور یعلو الأکام و یعلو الجسورا بأجود منه ممّا عنده فیعطی الألوف و یعطی البدورا(۱)

وهذا الأسلوب کان متوقعاً من معاویة، فأغفل أو تغافل أنَّ الإمام مطّلعٌ علی مجریات الأحداث، وما هی العقلیة و النوایا

العدوانية التى قد يرتكبها معاوية فيما بعد، لذا بعث له الإمام برسالة ثانية، فصَّل فيها الموقف الشرعى من ولاية المسلمين، وأنَّه الأولى بها منه ومن غيره(٢) ، كما بيّن فيها فضائل

-١مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الاصفهانى، ص ٣۴.

-٢ونرى فى مجمل رسائل الإمام ع أنَّه يكرِّر على معاوية حقه فى الإمامة والخلافة، وأنّه تجب الطاعة له – وهو يعلم أنّ معاوية لا يلتزم بكل كلام وإن جاء بالدليل والبرهان. والغرض واضح، وهو أنَّ الإمام يريد أن يُفهم ويُذكّر الأُمّة من خلال هذه الرسائل الاعلامية، أنّ معاوية قد ذمّه رسولالله ص فى كثير من أحاديثه، وتنبّأ فى غصبه للخلافة، فخلافته غير شرعية، وسيرته غير مستقيمة، ولابد من الحذر منه، لأنّه يسلك بكم الطريق المنحرف عن الاسلام. وقد ذكر الشيخ حسن بن فرحان المالكى جملة من هذه الاحاديث وصحّحها، نذكر منها: حديث «إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه» . روى عن عدد من الصحابة، منهم أبىسعيد الخدرى وابن مسعود وغيرهما، وأقل أحوال هذا الحديث الحسن.حديث عبدالله بن عمرو بن العاص «يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتى – وفى لفظ: على غير سنتى – فطلع معاوية، وقال النبى ص» والحديث رواه البلاذرى بسند صحيح، رجاله ثقات أثبات، وصحَّح بعض متابعاته الدكتور جاسم المشهدانى جامعة أم القرى .حديث أبى ذر وغيره «أوّل مَن يغير سنتى رجل من بنى أمية» . الحديث صحيح الإسناد وقد صححه الألبانى وألمح إلى أنّه معاوية. انظر: حسن بن فرحان المالكى، مع عبدالله السعد، صص١٩١ – ١٩٣.

ص:٣٢

أهلالبيت (عليهم السلام) وحقوقهم، وضمّن الرسالة تهديداً لمعاوية، وتحذيره من التمادى فى غيّه وشقّ وحدة الصف الإسلامى، و امره بحفظ دماء المسلمين.

وهذا نصّ الرسالة، كما يرويها أبوالفرج الأصفهانى وابن أبى الحديد:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان، سلام عليك، فإنّى أحمد الله الذى لا إله إلّا هو، أمَّا بعد، فإنَّ الله تعالى عز وجل بعث محمداً (ص) رحمة للعالمين، ومنَّة على المؤمنين وكافة إلى الناس أجمعين؛ ليُنذر مَن كان حياً ويحقّ القول على الكافرين، فبلَّغ رسالات الله وقام على أمر الله، حتى توفّاه الله غير مقصر ولا وان، حتى أظهر الله به الحق، ومَحَقَ به الشرك، ونصر به المؤمنين، وأعز به العرب، وشرّف به قريشاً خاصة، فقال تعالى: وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ ، فلمّا توفى (ص) تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد فى الناس وحقه، فرأت العرب أنَّ القول كما قالت قريش، وأنَّ الحجة لهم فى ذلک على مَن

نازعهم أمر محمد (ص) ، فأنعمت لهم العرب وسلّمت ذلک، ثُمَّ حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاجت به العرب، فلم تنصفنا قريش

ص:٣٣

إنصاف العرب لها، إنَّهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولى النصير.

وقد تعجَّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا فى حقّنا وسلطان نبيّنا (ص) ، وإن كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم، مخافة على الدين؛ أن يجد المنافقون والأحزاب بذلک مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلک سبب لما أرادوا به من فساده.

فاليوم فليعجب المتعجِّب من توثّبک يا معاوية على أمرٍ لست من

أهله، لابفضل فى الدين معروف، ولا أثر فى الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله (ص) ! ولكنَّ الله خيَّبک.

سترد فتعلم لمَن عُقبى الدار، تالله لتلقينَّ عن قليل ربک، ثُمَّ ليجزينّک بما قدمت يداک، وما الله بظلام للعبيد.

إنّ علياً (رضوان الله عليه) لمّا مضى لسبيله (رحمة الله عليه) ، يوم قُبض، ويوم منَّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً، ولّانى المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله أن لا يزيدنا فى الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به فى الآخرة ممّا عنده من كرامته، وإنَّما حملنى على الكتاب إليک الإعذار فيما بينى وبين الله سبحانه وتعالى فى أمرک، ولک فى ذلک إن فعلت الحظ الجسيم، وللمسلمين فيه صلاح، فدع التعادى فى الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فإنَّک تعلم أنّى أحق بهذا الأمر منک عند الله، وعند كل أوَّاب حفيظ، ومَن له قلب منيب، واتَّقِ الله، ودع البغى، واحقن دماء المسلمين، فو الله مالک من خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممَّا أنت

ص:٣٤

لاقيه به، فادخل فى السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومَن هو أحقّ به منک، ليطفئ الله النائرة بذلک، وتُجمع الكلمة وتصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلّا التمادى فى غيِّک، نهدت إليک بالمسلمين، فحاكمتک حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين(١).

صدع الإمام الحسن (ع) بكلمة الفصل – بعد أن أعطاه الدلائل والبراهين على أحقيته بالولاية – وهى أن يدخل معاوية فى

السلم والطاعة، وأن لاينازع الأمر أهله ومَن هو أحقّ به منه.

وجاء جواب معاوية متلبّساً بمسوح الإسلام، ومغطّياً نفسه بجلباب الرعيّة، ليتحدَّث باسم الإسلام، قال:

قد بلغنى كتابک، وفهمت ما ذكرت به محمداً رسول الله من الفضل، وهو أحقّ الأولين والآخرين بالفضل كلّه، قديمه وحديثه، وصغيره وكبيره، وقد والله بلّغ وأدّى، ونصح وهدى، حتى أنقذ الله به من الهلكة وأنار به من العمى، وهدى به الجهالة والضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أُمَّته. . . . وذكرت وفاته وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلبهم على أبيک، فصرّحت بتهمة أبى بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبى عبيدة الأمين، وحوارى رسول‌الله، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلک لک، وإنّک أمرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين، ولاالمُسيء ولا اللئيم، وأنا أحبّ لک القول السديد والذكر الجميل، وإنَّ هذا الأُمّة لمّا اختلفت بينها لم تجهل فضلكم، ولاسابقتكم ولا قرابتكم من نبيّكم، ولا مكانكم فى الإسلام وأهله، فرأت الأُمّة أن تخرج من هذا

-١مقاتل الطالبيين، صص ٣٥ و ٣٦؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج١٦، صص ٣٣ و٣٤.

ص:٣٥

الأمر لقريش، لمكانها من نبيّها، ورأى صلحاء الناس من قريش، والأنصار وغيرهم، وسائر الناس وعوامها، أن يولّوا من قريش هذا الأمر أقدمها إسلاماً وأعلمها بالله، وأحبّها وأقواها على أمر الله، فاختاروا أبابكر، وكان ذلک رأى ذوى الدين، والفضل، والناظرين للأُمّة، فأرفع ذلک فى صدوركم لهم التهمة، ولم‌يكونوا متَّهَمين، ولا فيما أتوا بالمخطئين، ولو رأى المسلمون أنّ فيكم من يُغنى غناءه ويقوم مقامه، ويدبّ عن حريم الإسلام دبّه، ما عدلوا بالأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنَّهم عملوا فى ذلک بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

وقد فهمت الذى دعوتنى إليه من الصلح، والحال فيما بينى وبينک اليوم مثل الحال التى كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبى، فلو علمت أنَّک أضبط منّى للرعية، وأحوط على هذه الأُمّة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو، لأجبتک إلى ما دعوتنى إليه، ولو رأيتک لذلک أهلاً لسلَّمت لک الأمر بعد أبيک، فإنّ أباک سعى على عثمان، حتى قتل مظلوماً فطالب الله بدمه، ومَن يطلبه الله فلن يفوته، ثُمَّ ابتز الأُمّة أمرها، وخالف جماعتها، فخالف نظراءه من أهل السابقة والجهاد، والقدم فى الإسلام، وادَّعى أنّهم نكثوا بيعته، فقاتلهم، فسُفكت الدماء، واستحلَّت الحرم، ثُمَّ أقبل إلينا لا يدّعى علينا بيعة، ولكنَّه يريد أن يملكنا اغتراراً، فحاربناه وحاربنا، ثُمّ صارت الحرب، إلى أن اختار رجلاً واخترنا رجلاً، ليحكما بما

يصلح عليه، وتعود به الجماعة والألفة، وأخذنا بذلک عليهما ميثاقاً، وعليه مثله، على الرضا بما حكما، فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت وخلعاه، فوالله ما رضى بالحكم، ولا

ص:٣٦

صبر لأمر الله، فكيف تدعونى إلى أمرٍ إنَّما تطلبه بحقٍّ أبيک وقد خرج؟ ! فانظر لنفسک ولدينک. . . وقد علمت أنّى أطول منک ولاية، وأقدم منک بهذه الأُمَّة تجربة، وأكبر منک سناً، فأنت أحقّ أن تجيبنى إلى هذه المنزلة التى سألتنى، فادخل فى طاعتى. . . أعاننا الله وإيّاک على طاعته، إنّه سميع مجيب الدعاء(١).

ولو نظرنا بعين الإنصاف لكلمات معاوية، لوجدناها فارغة مفضوحة، عارية عن الصدق، ويكفى أن ندلّل على ذلک: فقوله: (إنَّ الأُمّة اجتمعت على أبى بكر واختارته. . .) ، إذا كان كذلک، أوَ لَمْ تجتمع الأُمّة على الإمام على (ع) ، فلماذا شهَر سيف البغى ضدّه، وأعلنها حرباً على الدولة الإسلامية، حتى قُتل أصحاب رسول الله (ص) ، كعمار بن ياسر، الذى قال عنه رسولالله (ص) : «يا عمار، تقتلک الفئة الباغية. . .» ؟(٢) ! ثُمَّ لماذا يطلب معاوية البيعة من الإمام الحسن (ع) وقد بايعته الأُمَّة وسلَّمته زمام أمورها؟ ! ثُمَّ إذا كانت جبهة الشام لم تبايع الإمام الحسن (ع) ، فهى أيضاً لم تبايع ولم تدن فى يوم من الأيام سلطة الخلفاء السابقين، منذ ولاية معاوية عليها فى عهد الخليفة الثانى عمر.

فأيَّة ولاية يتشبَّث بها معاوية، وهى إنَّما كانت بئس الولاية وبئس التجربة، أراد منها زعامة سياسية وثاراً جاهلياً، وطمعاً شخصياً، وملكاً قبلياً؟(٣) !

١-مقاتل الطالبيين، صص ٣٦ و ٣٧؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج١٦، ص ٣٦.

٢-صحيح مسلم، ج٨، ص١٨٦؛ سنن الترمذى، ج٥، ص ٣٣٣.

٣-انظر: الإمام الحسن القائد والتأريخ، الأحمد فؤاد، ص ٥١.

ص:٣٧

قال الدكتور أحمد رفاعى فى كتابه (عصر المأمون: (

إنَّ هذه الرسالة حوت بعض المغالطات؛ فقد جاء فيها: "إنَّ هذه الأُمَّة لمّا اختلفت بينها لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من نبيكم. . الخ". ومن يتتبَّع الأحداث التى وقعت بعد وفاة النبى (ص) عرف أنَّ العترة الطاهرة واجهت بعد النبى أشقّ المحن والخطوب؛ فإنَّ الجرح لمَّا يندمل، والرسول عليه الصلاة والسلام لمّا يُقبَر، استبدَّ القوم بالأمر، وعقدوا اجتماعهم

فى السقيفة، وتغافلوا عترة نبيّهم، وكان لهذا كله الأثر الذى ظهر بعد خمسين عاماً من وفاة الرسول (ص) ، فى موكب جهير يجوب البيداء من بلد إلى بلد وهم يحملون رؤوس أبنائه على أطراف الرماح(١).

آخر رسالة وجَّهها الإمام الحسن لمعاوية

بعد أن رأى الإمام الحسن (ع) الإصرار من معاوية على عدم الانصياع لولايته، وأنّه سيخدع الأُمّة بأمورٍ هى بعيدة عن روح الإسلام – لأنّه سيطرح نفسه البديل الشرعى لمنصب الخلافة – بل يعلم أنَّ معاوية سيُقدم على حربه، آجلاً أم عاجلاً؛ وجد أنَّه لا مناص من الحرب، وإعداد العدّة لهذا اليوم، الذى سيكون المفترق بين الحق والباطل.

لذا جاء جواب الإمام سريعاً:

»أمَّا بعد، فقد وصل إلىّ كتابك، تذكر فيه ما ذكرت، وتركت جوابك خشية البغى عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتّبع الحق تعلم أنّى من أهله، والسلام(٢). «

وبهذا يطوى الإمام (ع) لغة الحوار التى لا تُجدى مع ما يبيِّته معاوية من

١-انظر: الحسن بن على، توفيق أبو العلم، صص ١٣٧و ١٣٨.

٢-مقاتل الطالبيين، ص٣٨؛ أعيان الشيعة، ج١، ص ٥٦٨.

طُرق ملتوية ومتعسّفة؛ فأسلوب التفاوض بالّتى هى أحسن لا ينفع، طالما يرى أن الخصم لا يؤمن بهذه اللغة، لذا انتقل الإمام إلى لغة أخرى يفهمها معاوية، وهى لغة الحرب.

معاوية يعبّئ الناس لقتال الإمام الحسن (ع(

بعد وصول كتاب الإمام الحسن لمعاوية، كتب إلى عماله على النواحى نسخة واحدة:

أمّا بعد، فالحمد لله الذى كفاكم مؤونة عدوّكم، وقتلة خليفتكم. إنَّ الله بلطفه وحُسن صنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلاً من عباده، فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فاقبلوا إلىَّ حين يأتيكم كتابى هذا، بجدّكم وجهدكم وحسن عدّتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغى والعدوان، والسلام.

فاجتمعت العساكر إلى معاوية، وسار قاصداً إلى العراق(١).

والذى يُلفت النظر فى هذه الرسالة، أنَّ معاوية ينسب البغى والعدوان للإمام على (ع) ، مع أنَّ معاوية وجنوده هم الباغون، وقد قتلوا الصحابى الجليل عمار بن ياسر، وقد تقدم مارواه مسلم فى حديث ان عماراً تقتله الفئة الباغية(٢).

وهذا ما توقّعه الإمام الحسن (ع) طيلة مراسلاته مع معاوية، لذا أوقف

١-أعيان الشيعة، ج١، ص ٥٦٨؛ مقاتل الطالبيين، ص ٣٨؛ الغدير، ج١٠، ص ٢٩١.

٢-صحيح مسلم، ج٨، ص١٨٦؛ سنن الترمذى، ج٥، ص٣٣٣.

الإمام هذه المراسلات وبدأ بالتعبئة العسكرية العامة، وتثوير الشعب وتشجيعه، وتكتيل الطاقات فى الداخل للاستعداد، لمجابهة معاوية ومعسكره فى الشام.

لامناص من الحرب

قام الإمام الحسن بالتهيئة العسكرية لخوض غمار الحرب، فبعث حجر بن عدى يأمر العمّال والناس بالتهيؤ للمسير، ونادى المنادى الصلاة جامعة، فاقبل الناس يتوثَّبون ويجتمعون، فقال الحسن (ع) : إذا رضيت جماعة الناس فاعلمنى، وجاء سعيد بن قيس الهمدانى فقال: اخرج، فخرج الحسن (ع) ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال:

أمَّا بعد، فانَّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمَّاه كرهاً، ثُمَّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين اصبروا، إنَّ الله مع الصابرين، فلستم أيُّها الناس نائلين ما تحبّون إلّا بالصبر على ما تكرهون. إنّه بلغنى أنَّ معاوية بلغه أنَّا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرَّك لذلك، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة، حتى ننظر وتنظروا ونرى وترواً(١) .

الكوفة ومجتمعها الممزوج بعدَّة اتّجاهات

اشاره

الكوفة التى تعدّ المعقل الرئيس لجيش الإمام، هذه المدينة التى تمتلك تركيباً مزيجاً وخليطاً من عدّة اتجاهات ممّا ينعكس سلباً على مُجريات الأحداث. وهذه الاتجاهات يمكن تقسيمها إلى عدّة فئات:

١-مقاتل الطالبيين، ص ٣٩؛ شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٣٨.

۱ .الخوارج

وهم الخارجون عن طاعة الإمام على (ع) ، والذين حاربوه وناوئوه ونصبوا له العداوة. وقد وجدوا فى الإمام الحسن (ع) حلًّا وسطاً لمحاربة معاوية، وهذه الفئة تستثيرها أدنى شبهة عارضة، فتتعجّل الحكم عليها (أى على الشبهة. (

۲ .الفئة الممالئة للحكم الأموى، وهى على قسمين

أ– الذين لم يجدوا فى حكومة الكوفة ما يشبع نهمهم، ويروى ظمأهم فيما يحلمون به من مطامع، فأضمروا ولاءهم للشام، مترقّبين سنوح الفرصة للوثوب على الحكم، وتسليم الأمر لمعاوية.

ب – وهم الذين حقدوا على حكومة الكوفة، لضغائن فى نفوسهم أورثتها العهود السالفة، أو حساباتٌ شخصية.

۳ .الفئة الترددة المذبذبة

وهى التى ليس لها مسلك معيّن أو مهمّة خاصة مستقلّة، وإنّما هدفها ضمان السلامة، وبعض المطامع عند الجهة التى ينعقد لها النصر. . فهى تترقَّب عن كثب إلى أى جهة يميل ميزان القوة لتميل معه.

۴.الفئة الهمجية الغوغائية

وهى الفئة التى لا تستند فى موقفها إلى أساس، بل هم أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح. قال على (ع) فى صفة الغوغاء هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا و إذا تفرقوا لم يُعرفوا(۱).

۱-نهج البلاغه، ص۵۰۴.

۵.الفئة المؤمنة المخلصة

وهى القليلة الخيّرة، التى يذوب صوتها فى زحام الأصوات الأخرى المعاكسة لها(۱) هذه هى أحوال الكوفة؛ لذا عندما خاطبهم الإمام (ع) سكتوا، فما تكلَّم منهم أحد، ولا أجابه بحرف، فلمّا رأى ذلک عدى بن حاتم، قام فقال:

أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيّكم؟ ! أين خطباء مُضر. . . الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدعة، فإذا جدَّ الجدّ فروّاغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها(٢) .

خذلان الجيش وتفرّقه عن الإمام الحسن (ع(

أضف إلى ذلک أنَّ الجيش وقادته قد تخاذلوا عن الإمام؛ ممَّا أدّى ذلک إلى الهزيمة النفسية والعسكرية. قال ابن الأثير، وهو يروى قصة تفرّق جيش الإمام الحسن عنه وخذلانهم له:

فلمَّا نزل الحسن المدائن، نادى مناد فى العسكر: ألا إنَّ قيس بن سعد قُتل فانفروا، فنفروا بسرداق الحسن، فنهبوا متاعه، حتى نازعوه بساطاً

١-قال الشيخ المفيد: «واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثُمَّ خفّ معه أخلاط من الناس، بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام ، وبعضهم محكمة يُؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع فى الغنائم، وبعضهم شكاک، وبعضهم أصحاب عصبية، اتَّبعوا رؤساء قبائلهم، لايرجعون إلى دين» . الإرشاد: ج٢، ص١٠؛ وانظر: صلح الإمام الحسن – الأسباب والنتائج، جواد فضل الله، صص٨۴ و ٨٥.

٢-مقاتل الطالبيين، ص٣٩؛ شرح نهج البلاغة، ج١۶، ص ٣٩؛ أعيان الشيعة، ج١، ص ٥۶٨.

كان تحته، فازداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً، . . . فلمَّا رأى الحسن تفرُّق الأمر عنه، كتب إلى معاوية(١). . . .

معاوية يشترى الذمم بالمال

وقد استخدم معاوية دهاءه فى شراء ذمم قواد الجيش، ومنهم عبيدالله بن العباس، حيث هدَّده معاوية ورغَّبه بأن يهب له الأموال عند مجيئه إليه وتركه جيش الإمام الحسن (ع) . قال الاصبهانى وابن أبى الحديد:

]أن معاوية] أرسل إلى عبيدالله بن العباس أنَّ الحسن قد راسلنى فى الصُلحِ وهو مُسلِّم الأمر إلىَّ، فإن دخلت فى طاعتى الآن كنت متبوعاً، وإلّا دخلت وأنت تابع، ولک إنْ جئتنى الآن أن أُعطيک ألف ألف درهم، يُعجّل لک فى هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر. فانسلَّ عبيدالله ليلاً فدخل عسكر معاوية، فوفى له بما وعده(٢). . . .

وكذلک ما رواه السيد محسن الأمين فى أعيان الشيعة:

إنَّ الحسن (ع) بعث إلى معاوية قائداً من كندة فى أربعة آلاف، فلمّا نزل الأنبار، بعث إليه معاوية بخمسمائة ألف درهم،

ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة، فصار إليه فى مائتين من خاصته، ثُمَّ بعث رجلاً من مراد، ففعل كالأوَّل، بعد ما حلف بالأيمان التى لا تقوم لها الجبال أنَّه لايفعل، وأخبرهم الحسن (ع) أنَّه سيفعل كصاحبه(٣).

١-الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج٣، صص ٤٠٤- ٤٠٥؛ أعيان الشيعة، ج١، ص٥٦٩؛ النصائح الكافية، ص ١٩٢.

٢-مقاتل الطالبيين، ص ٤٢.

٣-أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٦٩.

فبدأ الجيش بالتخاذل، إلى أن وصل الأمر إلى أنَّ أحد عناصر جيشه طعنه واتَّهمه بالشرك، وذلک حينما قام إليه رجل من بنى أسد، من بنى نصر بن قعين، يقال له الجراح بن سنان، فلمّا مرّ فى مظلم ساباط، قام إليه فأخذ بلجام بغلته وبيده معول، فقال: الله أكبر يا حسن، أشركت كما أشرک أبوک من قبل، ثُمَّ طعنه، فوقعت الطعنة فى فخذه، فشقَّته حتى بلغت اربيته، فسقط الحسن إلى الأرض، بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده، واعتنقه وخرَّا جميعاً إلى الأرض(١).

استمالة معاوية لرؤساء القبائل

بل إنَّ هناک جماعة من رؤوس القبائل مَن كاتبَ معاوية بالطاعة له فى السر، وضمنوا له تسليم الإمام الحسن عند وصوله إليهم. قال الشيخ المفيد:

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له فى السر، واستحثُّوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن (ع) إليه عند دنوّهم من عسكره، أو الفتک به، وبلغ الحسن ذلک(٢).

وهذا يدلّ على أنَّ معاوية قد نجح فى زعزعة أركان جيش الإمام بأساليب وألوان مختلفة، منها: (الأموال، والكذب، والإشاعات) ، بحيث استمال قواد الجيش والقبائل.

ووجد معاوية الأرض الخصبة التى تتقبَّل هذه العروض؛ نتيجةً لعدم إيمان الأُمّة نفسياً وعقائدياً بما يمثّله الإمام من امتدادٍ للرسالة، وسنخاً للنبوة

١-مقاتل الطالبيين، ص ٤١؛ الإرشاد، ج٢، ص١٢.

٢-الإرشاد، ج٢، ص ١٢.

علماً وعملاً وتطبيقاً.

إذن، معاوية نجح فى رسم الخطة التى حاكها، من خلال استمالة بعض النفوس من أفراد ورؤساء جيشه (ع) ، لذا لم يجد الإمام بُداً إلّا بالتسليم لواقعٍ فرضته تلك المعادلة الظالمة.

ولكنَّ الإمام لم يترك تلك المعادلة تسير وفق أهواء معاوية؛ لذا قام بخيرِ مشروعٍ يكشف من خلاله سياسة معاوية الرعناء فى تولّيه لخلافة رسول‌الله (ص) ، وهو قبوله لمبدأ الصُلح، وهذا ما سوف نتكلَّم عنه فى الفصول اللاحقة.

ولكن قبل ذلك لابدّ أن نوضّح سياسة الإمام الحسن فى مقابل سياسة معاوية الآنفة الذكر، والقائمة على الغدر وعدم العدل، بل والقتل والمطامع الشخصية، لتثبيت أركان دولته وسلطته بأىِّ ثمنٍ كان.

خلاصة سياسة الإمام الحسن (ع(

فى قِبال سياسة معاوية الملتوية، نجد أنَّ سياسة البيت العلوى قائمة على التعقُّل والعدل والإنصاف، وعدم المداهنة والمراوغة، وهذه السياسة شيّد أركانها الإمام على (ع) ، فلو عدنا وأخذنا بعض تلك النماذج من سياسته مع خصومه، التى تشدِّد النكير على الغدر والمكر لاتّضح ذلك، فقال عليه السلام، ناقداً لهذه الصفة الذميمة، فى إحدى خطبه:

أيُّها الناس، إيّاكم والخديعة؛ فإنَّها من خُلق اللئام، تصفية العمل أشدّ من العمل، وتخليص النية من الفساد أشدّ على العاملين من طول الجهاد، هيهات، لولا التُقى لكنت أدهى العرب(۱).

۱-روائع نهج البلاغة، جورج جرداق: ص ۹۰.

وقوله (ع: (

والله ما معاوية بأدهى منِّى، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر، لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكلِّ غادر لواء يُعرَف به يوم القيامة. والله ما استغفل بالمكيدة، ولا استغمز بالشديدة(۱) .

وكذلك رفضه (ع) أى نوع من التملُّق أو التقرّب للحاكم الإسلامى، وخير مثال رسمَه أمير المؤمنين (ع) هو تأنيبه وردعه للأشعث بن قيس حين قُدّمت له هدية بسيطة. وفى عُرفنا الحالى – لعلّها – لا تعدّ ذات قيمة، ولكنَّ الإمام يراها كبيرة، وكبيرة جداً، فجاء جوابه مُفحماً لهذا الرجل، حيث قال له:

وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة فى وعائها، ومعجونة شنئتها، كأنَّما عُجنت بريق حية أو قيئها، فقلت: أصلة أم زكاة

أم صدقة، فذلک محرم علينا أهل البيت؟ ! فقال: لا ذا ولا ذاک، ولكنّها هدية. فقلت: هبلتک الهبول، أعن دين الله أتيتنى لتخدعنى، ا مختبط أنت أم ذو جنة أمتهجر؟ ! والله لو أعطيت الأقاليم السبعة، بما تحت أفلاكها، على أن أعصى الله فى نملةٍ أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإنَّ دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها، ما لعلىٍّ ولنعيم يفنى ولذةٍ لاتبقى، نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين(٢).

والإمام الحسن سار على نفس مقرَّرات أبيه فى الحكم والتعامل مع الأُمّة،

-١شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٢١١.

-٢نهج البلاغة، محمد عبده، ج ٢، ص٢١٨.

فلم يُقرّ أى وسيلة تخالف المنهج الإسلامى الذى رسمه أبوه فى التعامل مع الأحداث، صغيرةً كانت أو كبيرة؛ لذا عندما خاطب شيعته بعد الصلح، ذكّرهم بهذا المنهج، وهو أنَّه لو كان يعمل للدنيا، ما كان معاوية بأشدّ حزم وشكيمة منه، ولكنَّ الإمام يسير وفق المصلحة والحكمة. قال:

أمَّا بعد، فإنّكم شيعتنا وأهل مودّتنا، ومَن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم، ولو كنت بالحزم فى أمر الدنيا، وللدنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبأس منّى بأساً، وأشدّ شكيمة، ولكان رأيى غير ما رأيتم، ولكنّى أشهد الله وإيّاكم أنّى لم أرد بما رأيتم إلّا حقن دمائكم، وإصلاح ذات بينكم(١). . . .

من هنا نفهم قول رسول الله (ص) حينما وصف الإمام (ع) أنَّه: «لو كان العقل رجلاً لكان الحسن(٢) . «

وهكذا سار الإمام الحسن (ع) ، على تطبيق المُثل والخلق الإسلامى الذى تربّى عليه، فلو كان يعمل للدنيا، وسلک مسلک مَن يطلب الحكم والسلطان، واستعمل ما كان يفعله معاوية، من إنفاقٍ للمال، وأساليب الترهيب والترغيب بما يملكه، وهو الحاكم آنذاک على المملكة الإسلامية برمَّتها؛ عندئذ لتغيَّرت مجريات الأحداث لصالحه، وما كانت حظوظ معاوية ناجحة فى مُجريات الأحداث.

-١الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج١، ص ١۴١.

-٢فرائد السمطين، الجوينى، ج٢، ص ۶٨.

الفصل الثانی: صُلح الإمام الحسن (ع(

اشارة

ص:۴۹

تمهید

من المهمّ قبل الدخول فی شرح مضامین الصلح، أن نذکر أمراً فی غایة الأهمیة، وهو أنَّ الصلح جاء طلباً من معاویة، وقد أبرز الإمام هذه الحقیقة فی الخطاب الذی ألقاه فی المدائن، قائلاً:

ألا وإنَّ معاویة دعانا إلی أمر لیس فیه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه علیه، وحاکمناه إلی الله عزوجل بِظُبا السیوف، وإن أردتم الحیاة قبلناه، وأخذنا لکم الرضا(۱).

والإمام بمقتضی الظروف – التی تقدّم الکلام عنها – لم یکن أمامه إلَّا الصلح، وأن یُلبِّی طلب معاویة، ولکنّه لم یلبّه إلَّا لیُرکسه فی شروط، لایسع رجلاً کمعاویة إلّا أن یجهر فی غده القریب بنقضها شرطاً شرطاً، ثُمَّ لا یسع الناس إلَّا أن یجاهروه السخط والإنکار، فإذا بالصلح نواة السخط الممتد مع الأجیال، لیکون نواةً للثورات التی تعاونت علی تصفیة السیطرة الاغتصابیة فی التأریخ(۲) .وهذا ما یرومه الإمام (ع) بهذه الشروط، لیضع معاویة أمام امتحان وتأریخ سوف یحاسبه ویفضحه علی مرِّ الأجیال.

۱-تاریخ مدینة دمشق، ابن عساکر، ج۱۳، ص ۲۶۸؛ اسد الغابة، ابن الأثیر، ج۲، ص ۱۳؛ سیرأعلام النبلاء، ج۳، ص ۲۶۹.

۲-الحسن بن علی، توفیق أبو علم، ص ۲۰۸.

ص:۵۱

وثیقة الصُلح بلسان المؤرِّخین

اشارة

وأمَّا ما ذکره المؤرّخون والمحدثون من نصوص الصلح، فقد جاءت مقطعة ومتناثرة، لذا سوف نذکر بعض هذه النصوص و نربطها بعضها بالبعض الآخر، لکی یکون القارئ علی بیّنةٍ من هذا الحدث التأریخی، الذی تضاربت وقُطّعت نصوصه. فقد

ذكر ابن أعثم الكوفى، وابن طلحة الشافعى، وابن الصباغ المالكى، جزءاً منه، ونصوصهم تكاد تكون متقاربة، وكذلك السيوطى وابن قتيبة، وابن حجر وابن عنبة، وابن الأثير وأبو الفداء وغيرهم. .

١ .ما ذكره ابن أعثم وابن طلحة وابن الصباغ

واللفظ للأخير: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى طالب معاوية بن أبى سفيان، صالحه على أن يسلّم إليه ولاية المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسول الله، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحدٍ من بعده عهداً، على أنَّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى، فى شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم، وعلى أنَّ أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى

ص:٥٢

معاوية بذلك عهد الله وميثاقه، وعلى أن لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين، ولا لأحدٍ من أهل بيت رسول الله (ص) غائلة سوءً، سراً وجهراً، ولا يخيف أحداً فى أُفقٍ من الآفاق. شهد عليه بذلك فلان وفلان، وكفى بالله شهيدا(١). «

٢ .ما ذكره السيوطى وابن حجر

)واللفظ للأوَّل:) «ولى الحسن رضى الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه، بمبايعته أهل الكوفة، فأقام فيها ستة أشهر وأياماً، ثُمَّ سار إليه معاوية، والأمر إلى الله، فأرسل إليه الحسن يبذل له تسليم الأمر إليه، على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء ممّا كان أيام أبيه، وعلى أن يقضى عنه ديونه، فأجابه معاوية إلى ما طلب، فاصطلحا على ذلك(٢). «

فالسيوطى يذكر فى هذه البنود أنّ الإمام الحسن شرط أنّ الخلافة تُسلَّم وتعود إليه بعد معاوية، وقد أكدَّ هذه الحقيقة ابن حجر فى فتح البارى، بسندٍ قوى، قال:

وذكر محمد بن قدامة فى كتاب الخوارج، بسندٍ قوى إلى أبى بصرة، أنّه سمع الحسن بن على يقول فى خطبته عند معاوية: إنّى اشترطت على معاوية لنفسى الخلافة بعده(٣).

١-الفتوح، ابن أعثم الكوفى، ج۴، ص٢٩١؛ مطالب السؤول، ابن طلحة الشافعى، ص ٣٥٧؛ الفصول المهمة، ابن الصباغ، ج٢، صص ٧٢٨ – ٧٢٩.

-۲تاریخ الخلفاء، السیوطی، ص ۱۹۱؛ الامامة والسیاسة، ابن قتیبة، ج۱، ص۱۸۴.

-۳فتح الباری، ج ۱۳، ص ۵۵.

ص:۵۳

وقال ابن حجر أیضاً:

وأخرج یعقوب بن سفیان، بسندٍ صحیح إلی الزهری، قال: کاتب الحسن بن علی معاویة واشترط لنفسه، فوصلت الصحیفة لمعاویة، وقد أرسل إلی الحسن یسأله الصلح، ومع الرسول صحیفة بیضاء مختوم علی أسفلها، وکتب إلیه: أن اشترط ما شئت فهو لک، فاشترط الحسن أضعاف ما کان سأل أوّلاً، فلمّا التقیا وبایعه الحسن، سأله أن یعطیه ما اشترط فی السجل الذی ختم معاویة فی أسفله، فتمسّک معاویة إلّا ما کان الحسن سأله أوّلاً، واحتجَّ بأنَّه أجاب سؤاله أوّل ما وقف علیه، فاختلفا فی ذلک، فلم ینفَّذ للحسن من الشرطین شیء(۱).

وفی هذا النص أنّ الإمام الحسن (ع) اشترط نصوصاً مضاعفة، ولکنَّ معاویة لم یفِ بها.

۳ .ما ذکره ابن عنبة

ولعلّ بعض الشروط أن تکون ولایة الأمر بعده إلی أخیه الحسین (ع) ، وهذا ما ذکره ابن عنبة، قال: «وشرط علیه شروطاً، إن هو أجابه إلیها، سلَّم إلیه الأمر، منها أنَّ له ولایة الأمر بعده، فإن حدث به حدث فللحسین(۲) . «

.۴ما رواه ابن الأثیر وأبو الفداء

وأیضاً من تلک الشروط التی لم یفِ بها معاویة، هی عدم سبّ أمیرالمؤمنین (ع) ، وهذا ما رواه ابن الأثیر، قال:

-۱فتح الباری، ج ۱۳، صص ۵۵ و ۵۶.

-۲عمدة الطالب، ابن عنبة، ص ۶۷.

ص:۵۴

کان الذی طلب الحسن من معاویة أن یعطیه، ما فی بیت مال الکوفة، ومبلغه خمسة آلاف، وخراج دار ابجرد من فارس، وأن لا یشتم علیاً، فلم یجبه إلی الکفِّ عن شتم علی، فطلب أن لا یشتم وهو یسمع، فأجابه إلی ذلک ثُمّ لم یفِ له به أیضاً(۱).

وروی أبو الفداء فی مختصره، قائلاً:

ولمَّا رأى الحسن ذلک، کتب إلی معاویة واشترط علیه شروطاً وقال: إن أجبت إلیها فأنا سامع مطیع، فأجاب معاویة إلیها، وکان الذی طلبه الحسن أن یعطیه ما فی بیت مال الکوفة، وخراج دارابجرد من فارس، وأن لا یسبّ علیاً، فلم یجبه إلی الکفِّ عن سبّ علی، فطلب الحسن أن لایشتم علیاً، وهو یسمع، فأجابه إلی ذلکَ، ثُمَّ لم یفِ له به(۲).

فقرات وبنود الصلح

إذن من خلال ما تقدَّم من هذه النصوص، نستنتج الأمور التالیة:

الأوَّل: أن یعمل معاویة بکتاب الله وسنَّة رسوله (ص. (

الثانی: أن لا یعهد لأحدٍ من بعده عهداً، وفی بعض النصوص، أن تسلَّم الخلافة من بعد معاویة إلی الحسن، ومن بعد الحسن إلی أخیه الحسین (علیهما السلام) ، کما تقدَّم من قول ابن عنبه.

الثالث: الناس آمنون حیث کانوا من أرض الله، فی شامهم ویمنهم وعراقهم وحجازهم.

الرابع: أصحاب علی وشیعته آمنون علی أنفسهم وأموالهم ونسائهم

-۱الکامل فی التاریخ، ابن الاثیر، ج ۳، ص ۴۰۵.

-۲المختصر من أخبار البشر، ابو الفداء، ج۱، ص ۱۲۶.

وأولادهم حیث کانوا.

الخامس: أن لا یبغی معاویة للحسن ولا لأخیه الحسین، ولا لأحدٍ من أهل بیت النبی غائلة، سراً ولا علانیة، ولا یخیف أحداً منهم فی أُفقٍ من الآفاق.

السادس: أن یعطی معاویة للحسن (ع) ما فی بیت مال الکوفة، ومبلغه خمسة آلاف، وخراج دارابجرد من فارس.

السابع: عدم سبّ أو شتم أمیرالمؤمنین (ع. (

نقض معاویة لمعاهدة الصلح

ولکن ما أن استقرَّ الحکم لمعاویة، حتی رمی وثیقة الصلح تحت قدمیه، ولم یف بالعمل بکتاب الله وسنَّة رسوله (ص) ، ونقض المیثاق بأنَّه لا یعهد إلی أحدٍ من بعده، فعهد بالخلافة لابنه یزید، المشهور بمُجونه وفسوقه، حتی وصل الأمر به إلی نقضِ کل عهدٍ عاهده.

خطاب معاوية لأهل الكوفة

وذلک حينما خاطب أهل الكوفة قائلاً:

يا أهل الكوفة، أترونى قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ! ولكنّى قاتلتكم لأتأمَّر عليكم، وإلى رقابكم، وقد أتانى الله ذلک وأنتم كارهون، ألا أنَّ كل مال أو دم أصبت فى هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمىَّ هاتين(١).

١-شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج١۶، ص ١۵؛ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج١، ص ١۴١؛ الغدير، الأمينى، ج١٠، ص ٣٢۶.

ص:۵۶

وفعلاً فقد وضع معاوية الشروط كلّها تحت قدميه، ونقضها واحداً تلو الآخر، ولو استقصينا وراجعنا أفعاله، وطابقناها مع الشروط التى ألزمه الإمام الحسن بها، لوجدنا عدم الوفاء والصدق بكلّ من هذه الشروط.

أمّا الشرط الأوّل، فقد خالف معاوية كتاب الله وسنَّة نبيِّه (ص) ؛ لأنَّه لم‌يلتزم بالعهود والمواثيق التى أُلزم بها، فضلاً عمَّا جرى فى حُكمه من مخالفات للدين والشريعة، كما سيأتى بيانه.

والشرط الثانى، فقد خالفه معاوية ونقضه، وذلک عندما أخذ البيعة ليزيد، قال ابن كثير فى أحداث سنة ستين من الهجرة النبوية: «فيها أخذ معاوية البيعة ليزيد من الوفد الذين قدموا بصحبة عبيدالله بن زياد إلى دمشق، وفيها مرض معاوية مرضه الذى توفّى فيه، فى رجب(١). «

وقال ابن عبد البر:

أراد معاوية البيعة ليزيد، خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام، إنَّه قد كبرت سنّى وقرب أجلى، وقد أردت أن أعقد لرجلٍ يكون نظاماً لكم، وإنّما أنا رجل منكم، فأروا رأيكم، فأصفقوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبدالرحمن بن خالد، فشقَّ ذلک على معاوية وأسرها فى نفسه. ثُمَّ إنَّ عبدالرحمن مرض، فأمر معاوية طبيباً عنده، يهودياً، وكان عنده مكيناً، أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه، فانحرق بطنه فمات(٢).

وقال الاصبهانى: «وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شىء أثقل من

-١البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨، ص ١٢٣.

-٢الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٢، ص ٨٣٠.

ص:٥٧

أمر الحسن بن على وسعد بن أبى وقاص، فدسَّ إليهما سمّاً فماتا منه(١). «

فهنا معاوية استخدم السم والقتل لمجرّد مخالفة أمر خلافة يزيد، فهو لايتورَّع عن القتل بأى أسلوب كان. ومن أساليبه التى اشتهر بها السم، حيث قتل خيرة الصحابة بهذه الطريقة البشعة واللاإنسانية.

إذن، فمعاوية عهد لابنه بالخلافة، وترک ما عاهد عليه، وهو أن تكون الخلافة من بعده للحسن أو الحسين (عليهما السلام (

.

وأمَّا الشرط الثالث، فقد نقضه أيضاً، فلم تجد الناس الأمان والاستقرار فى ظلِّ حكمه، بل إن نفسه تحمل الشر والغدر.

ويكفينا قول جورج جرداق، حيث وصف سياسة معاوية قائلاً:

الذى يُمعن النظر فى سياسة معاوية، يهوله هذا المقدار من قوى الشر والاحتيال التى تألَّف منها أسلوبه فى أخذ الناس. .

فهو أسلوب مكيافيلى خالص، لا ينقصه شىء من تفاصيل المكيافيلية المجرمة، والنهب والترويع والتقتيل(٢).

وقال أيضاً: «صدق رسول الله (ص) ، إذ قال: (إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلاً ، جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً « .(٣)

فلم يتورَّع معاوية عن أىِّ فعل كان، وفى أىِّ مكان وزمان كان، سواء كان الشام أو الحجاز أو اليمن أو العراق، ويدلّنا على ذلک كلماته التى قالها لبسر بن أبى أرطاة:

-١مقاتل الطالبيين، ص ٤٧.

-٢على صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، ج٤، ص ٧٥٧.

-٣المصدر نفسه، ص ٧٧٩.

ص:٥٨

بعث معاوية عند خروجنا من عنده إلى بسر بن أبى أرطاة، فبعثه فى ثلاثة آلاف، وقال: سر حتى تمر بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف مَن مررت به، وانهب أموال كل مَن أصبت له مالاً، ممَّن لم يكن دخل فى طاعتنا، فإذا دخلت المدينة، فأرهم أنَّک تريد أنفسهم، وأخبرهم أنّه لابراءة لهم عندک ولا عذر، حتى إذا ظنّوا أنّک موقع بهم، فاكفف عنهم، ثُمَّ سر حتى

تدخل مكة، ولا تعرض فيها لأحد، وارهب الناس عنک فيما بين المدينة ومكة، واجعلها شرداً، حتى تأتى صنعاء(١). . . .

فالملاک عند معاوية للعفو عن الناس هو الدخول فى طاعته، وإلّا يكون السيف أو السم لكلّ مَن يخالف هذه السياسة، بغض النظر عن الهوية والبلد.

أمَّا الشرط الرابع، فأصحاب على (ع) لم يتوان معاوية فى قتلهم، وتشريدهم والفتک بهم، كعمار بن ياسر، وحجر بن عدى، وعمرو بن الحمق وغيرهم. يقول الشيخ حسن بن فرحان المالكى:

إذ لجأ بنو أُميّة إلى الفتک بمحبّى أهل البيت وإذلالهم، فقتلوا حجربن عدى صبراً فى عهد معاوية؛ لأنَّه أنكر سبّ على على المنابر، وقتلوا عمرو بن الحمق الخزاعى، وكان ممَّن لقى النبى [(ص)] وهاجر إليه، وكذلک كان حجر بن عدى، وقتلوا الحسن بن على، سيد شباب أهل الجنة، بالسم، وقتلوا أخاه الحسين بالسيف، وارتكبوا مجزرة كربلاء(٢). . . .

١-شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص٧.

٢-قراءة فى كتب العقائد، ص ١٧٠.

وقال الشيخ مغنية:

فقد كان للإمام على حواريون وأصحاب خُلَّص، كميثم التمار، وكميل بن زياد، وحجر بن عدى، ومحمد بن أبى بكر، وغيرهم، ولكنّه مُنى فى خلافته بالحروب والفتن الداخلية، ولمّا انتقل إلى جوار ربّه، عمل معاوية على طمس آثاره، وقتل رجاله، والقضاء على كل ما يمتُّ إليه بسبب(١) .

وقال السيد ابن عقيل:

ومن بوائقه الموجبة له غضب الله، قتله حجر بن عدى وأصحابه صبراً بمرج عذراء، وهم مَن هم! كأنَّه لم يقرأ قوله تعالى: وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا . (النساء:٩٣) وهم شريک بن شداد الحضرمى، وصفى بن فسيل الشيبانى، وقبيصة بن ضبيعة العبسى، ومحرز بن شهاب السعدى التميمى، وكدام بن حيان العنزى، وعبدالرحمن بن حسان العنزى الذى دفنه زياد حياً(٢).

وقد نقل لنا التأريخ استغراب السيدة عائشة هذا القتل المُفرط من معاوية لصحابة رسول الله (ص) ، فقالت له: «قتلت حجراً وأصحابه، أما خشيت أن أُخبّأ لک رجلاً فيقتلک بقتل أخى؟ ! قال لا، إنّى فى بيت أمان(٣). «

وينقل ابن عبد البر أنَّ حجر بن عدى قال: «لمَن حضر من أهله:

-١الشيعة فى الميزان، محمد جواد مغنية، ص ١١٠.

-٢النصائح الكافية، محمد بن عقيل، ص ٨٢.

-٣التاريخ الصغير، البخارى، ج١، ص ١٢١؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج١٢، ص ٢٢٢؛ المعجم الكبير، الطبرانى، ج١٩، ص ٣١٩؛ المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ٤٧٠.

ص:٦٠

»لاتطلقوا عنّى حديداً ولا تغسلوا عنى دماً، فإنّى ملاق معاوية على الجادة(١). «

وللحسن البصرى كلمة جامعة فى أفعال معاوية، ينقلها الطبرى، قال: «أربع خصال كُنَّ فى معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلّا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسفهاء، حتى ابتزَّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوى الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول‌الله (ص: (الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجراً، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر مرّتين(٢) . «

والكلام يطول فيما فعله معاوية، فلو أردنا أن نستوفى مَن قتلهم معاوية من المصلحين وأولياء الله صبراً، وأبادهم غدراً، واستأصلهم عتواً، وطحنهم حرباً، وسمل أعينهم ظلماً، وقطع أيديهم وأرجلهم بغياً، واستلَّ ألسنةً لهم تنطق بالحق عناداً، وأسقط شهاداتهم زوراً، وتقوّل عليهم افتراءً، وطلَّق حلائلهم مكراً، وأخذ أموالهم سلباً، وصاح فى حجراتهم نهباً، وهدم دورهم عشيّاً، وأقصاهم نفياً، وأوسعهم ذلاً، وضيَّق عليهم حبساً، ودفنهم أحياءً، ولعنهم على المنابر أمواتاً؛ لأفنينا المحابر وأغرقنا الصحف والدفاتر، ثُمَّ لم‌نبلغ غايتنا المقصودة، ولم نظفر بضالتنا المنشودة(٣).

وأمّا الشرط الخامس، فلم يفِ به معاوية؛ لأنَّ البغى وصل أوجه، وذلک

-١الاستيعاب، ج ١، ص ٣٣١.

-٢تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٢٠٨.

-٣الفصول المهمة فى تأليف الأُمّة، السيد شرف الدين، ص ١٣٢.

ص:٦١

بأن يدسَّ السم للإمام الحسن (ع) ، وكذلک قتل الإمام الحسين (ع) وأهل بيته فى كربلاء، على يد يزيد الذى مهَّد له الخلافة. روى ابن أبى الحديد عن الحصين بن المنذر، قال: «والله ما وفى معاوية للحسن بشىء ممَّا أعطاه، قتل حجراً

وأصحاب حجر، وبايع لابنه يزيد، وسمَّ الحسن(۱). «

ويكفينا ما نقله المناوى عن القرطبى فى قسوة وظلم وجفاء بنى أُميّة – وعلى رأسهم معاوية – فى معاملتهم لأهل البيت (عليهم السلام) ، قال:

فبنو أُميّة قابلوا وصية المصطفى (ص) فى أهل بيته و أُمّته بالمخالفة والعقوق، فسفكوا دماءهم، وسبوا نساءهم، و أسروا صغارهم وخرّبوا ديارهم، وجحدوا شرفهم وفضلهم، و استباحوا نسلهم و سبيهم و سبهم، فخالفوا رسول الله (ص) فى وصيته، وقابلوه بنقيض قصده وأمنيته، فياخجلهم إذا التقوا بين يديه، ويافضيحتهم يوم يُعرَضون عليه(۲).

وأمَّا الشرط السادس، فكالعادة لم يفِ به معاوية، ولم يعطِ للإمام الحسن ما وعده به ممّا فى بيت مال الكوفة وخراج دارابجرد، فقد روى ابن الأثير: «لميفِ له به أيضاً، (أى مال بيت الكوفة) ، وأمّا خراج دارأبجرد، فإنّ أهل البصرة منعوه منه، وقالوا هو فيئنا، لا نعطيه أحداً، وكان منعهم بأمر معاوية(۳). «

وروى الطبرى أيضاً «وحال أهل البصرة بينه – بين الإمام الحسن – وبين خراج دار أبجرد، وقالوا: فيئُنا(۴) . «أى منعوا إعطاء خراج هذه المدينة.

۱-شرح نهج البلاغة، ج ۱۶، ص ۱۷.

۲-فيض القدير، المناوى، ج ۶، ص۴۵۹.

۳-الكامل فى التأريخ، ابن الأثير، ج ۳، ص۴۰۵.

۴-تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۱۲۶.

وأمّا الشرط السابع، فإنَّ معاوية لم يلتزم بهذا الشرط، وكان يقول فى آخر خطبة له، كما ينقل الجاحظ: «اللّهم إنَّ أبا تراب ألحد فى دينك، وصدَّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذِّبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يُشاد بها على المنابر(۱). «

وقال السيوطى، كما ينقل ابن عقيل فى النصائح: «إنَّه كان فى أيام بنىأمية أكثر من سبعين ألف منبر يُلعَن عليها على بن أبىطالب (ع) ، بما سنَّه لهم معاوية من ذلك(۲). «

وهناك مَن نصح معاوية بالكفِّ عن لعن على (ع) ، كابن عباس: «ألا تكفّ عن شتم هذا الرجل؟ ! قال: لا والله، حتى يربو عليه الصغير، ويهرم فيه الكبير(۳). «!

ومعاوية يعلم يقيناً أنَّ سب على (ع) هو سبٌّ لله تعالى شأنه، ويعلم ما هو حكم الساب لله تعالى. فقد روى الحاكم فى المستدرک، عن أمِّسلمة: «إنّى سمعت رسول الله (ص) يقول: مَن سبَّ علياً فقد سبَّنى، ومن سبَّنى فقد سبَّ الله تعالى(۴). « ويعلم أيضاً بفضائله، وما رُوى فى حقّه على لسان رسول الله (ص) ، فقد روى مسلم فى صحيحه:

عن عامر بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن

۱-شرح نهج البلاغة، ج۴، ص ۵۶.

۲-النصائح الكافية، ص ۱۰۴.

۳-العثمانية، الجاحظ، ص۲۸۵.

۴-المستدرک على الصحيحين، ج ۳، ص ۱۲۱.

أبىسفيان سعداً فقال: ما منعک أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله (ص) ؟ ! فلن أسبَّه، لأن تكون لى واحدة منهنّ أحبّ إلىَّ من حُمر النِعم. سمعت رسول الله)ص) يقول له [حين] خلّفه فى بعض مغازيه فقال له على: يا رسول الله، خلَّفتنى مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله (ص) : أما ترضى أن تكون مِنّى بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنّه لا نبوّة بعدى؟ ! . وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطينَّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله. قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لى علياً، فأُتى به أرمد، فبصق فى عينه، ودفع الراية إليه. ففتح الله عليه. ولمَّا نزلت هذه الآية: (فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ) ، دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللّهم هؤلاء أهلى(۱).

ولكنَّ حقد معاوية على البيت الهاشمى قد أصمّ أذنَى معاوية، (فالحقد على الهاشميّين كان – إلى جانب معرفته بحقّهم الصريح – يتأجّج فى صدره ليتآكل قلبه، وكذلک كُره محمد كان يسدّ عليه منافذ تنفّسه؛ ولكن كيف له بما قد مضى فسبق فيه السيف العذل؟(۲). (!

هذه الكلمات التى أطلقها كامل سليمان، هى بحق شهادة صادقة، ولعلّه استقاها من تلک العلّة التى سألها الإمام على بن الحسين لمروان بن الحكم، حين قال له: «فما بالكم تسبُّونه – أى على (ع) – على المنابر؟ قال: إنَّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلک(۳). «! !

فاستقامة أمرهم، إشارة إلى الحكم والسلطان، ولكن أنَّى لهم ذلک،

-١صحيح مسلم، ج ٧، ص١٢٠؛ سنن الترمذى، ج ٥، ص٣٠١.

-٢الحسن بن على، ص ١٨٠.

-٣المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

ص:۶۴

فمعاوية خمد ذكره وانطفأ أواره، وعلى (ع) ارتفع قدره وعلا شأنه، ومعاوية فى مزبلة التأريخ، وعلى قبَّة تتلألأ فى السماء عُلواً وسموّاً وخلوداً. . . .

وصف معاوية بالغدر بعد نقض الصلح

فمعاوية لم يف بأىِّ شرط من الشروط ودحضها جميعاً؛ لذا نجد أنَّ بعض الصحابة وصف معاوية بالغدر، فقد نقل أبوالفرج الأصفهانى بسنده: «عن عمرو بن ثابت، عن أبى إسحاق، قال: «سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا إنَّ كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمَىّ هاتين، لا أفى به. قال أبوإسحاق: وكان والله غدَّاراً(١). «

فصفة الغدر وعدم الوفاء تكاد تكون صفةً ملازمة له طيلة حياته، فمن نقضه للشروط، إلى سمّه وقتله الصحابة، إلى تولّيه لابنه يزيد منبر الخلافة.

-١الحسن بن على، ص ٢٨٣؛ مقاتل الطالبيين، ص ۴۵.

ص:۶۵

أسباب الصلح ومُبرّراته

اشارة

إنّ أهمّ النقاط التى أدَّت بالإمام الحسن (ع) للصُّلح نُجملها بما يلى:

-١تركيبة جيش الكوفة

لقد احتوى جيش الكوفة الذى أعدَّه الإمام الحسن (ع) لحرب معاوية على تركيبة غير متجانسة، قال الشيخ المفيد: تحرّك الحسن (ع) وبعث حجر بن عدى فأمر العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثُمَّ خف معه أخلاط من

الناس، بعضهم شيعة له ولأبيه (عليهما السلام) ، وبعضهم محكّمة يُؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع فى الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية، اتَّبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين(١).

وينبغى أن لا ننسى المنافقين، الذين كانوا يراسلون معاوية سراً، وكذلك الخونة الذين باعوا ذممهم وضمائرهم مقابل دراهم معاوية ودنانيره.

١-الإرشاد، ج٢، ص١٠؛ الفصول المهمة فى معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكى، ج٢، ص٧٢٠.

إنَّ هذا الخليط الكوفى المتنوّع يكفى بمفرده أن يهزم أى جيش، مهما بلغت عدّته وعديده، ولم يكن بوسع الإمام (ع) أن يطهّر جيشه من العناصر الغريبة التى اندسَّت فيه، فإنَّ طريقة التجنيد آنذاك لم يكن يشترط فيه أى كفاءات شخصية، ولا حتى سنّ خاصة، كما لم يكن يخضع المقاتل لأىِّ اختبار لإثبات ولائه وإيمانه الكامل بهدف الحرب، بل كل ما كان يُشترَط فيه أن يكون قادراً على حمل السلاح. هذا هو النظام المألوف فى ذلك العصر، حيث كان يعتمد على ظاهر الشخص وسيرته الخارجية، ولم يكن يوجد جهاز استخبارات عسكرية، يتتبَّع الخلايا المعادية وغير المخلصة، ويحاول كشفها والقضاء عليها.

وليس هذا بأمرٍ جديد، فقد كان المنافقون والمغرضون منتشرين فى عهد رسول الله (ص) ، وكانوا يشاركون فى غزواته وسراياه، ولم يقم النبى (ص) بطردهم أو فضحهم(١).

إذن، للتركيبة غير المتجانسة لجيش الإمام الحسن (ع) دور فى إضعاف الجيش، وجعله عاجزاً عن القيام بمهامه ومجابهة جيش الشام، الذى كان يتمتَّع بتجانس أكبر.

٢-خيانة أُمراء الجيش

من أهمِّ العوامل التى أضعفت معنويات الجيش، وفتَّت عضده، هى خيانة أُمراء الجيش الذين عيَّنهم الإمام وأرسلهم كطلائع حتى يلحق

١-انظر: الكامل فى التاريخ، ج٢، صص١٩٢ و٢٦٣. وللتفصيل أكثر راجع: صلح الحسن، الشيخ راضى آل ياسين، ص١٢٦.

بهم، ولكن سال لعابهم أمام دراهم معاوية، فتركوا مواقعهم ومالوا إلى جانب معاوية.

ومن أهمِّ هؤلاء الأُمراء عبيدالله بن العباس، حيث بذل له معاوية ألف ألف درهم، فصار إليه فى ثمانية آلاف من أصحابه(۱)، فكان لهذه الخيانات أثر بالغ فى إضعاف معنويات الجيش، وفى خفض عدده، ممَّا أدّى إلى اختلال التوازن بين الجيشين.

-۳جيش مُرهَق أثر الحروب المتتالية

لقد دخل أهل الكوفة خلال فترة وجيزة – وهى فترة خلافة أميرالمؤمنين (ع) – حروباً طاحنة، خلّفت أضراراً كبيرة فى المجتمع الكوفى، حيث قدَّم أبناء الكوفة عشرات الآلاف من الشهداء، فقد قُتل منهم، على أقل تقدير، خمسة آلاف فى معركة الجمل(۲)، وربّما تصل بعض تقديرات القتلى إلى عشرة أو خمسة عشر ألفاً، حيث رُوى أنَّ مجموع القتلى آنذاك من الجانبين كان نيفاً وثلاثين ألفاً(۳).وأمّا صفّين، فقد تراوح عدد القتلى فيها من أهل الكوفة بين عشرين ألفاً إلى خمسة وعشرين(۴)، وقد كان أهل الكوفة مستعدّين أن يقدّموا شهداء أكثر فى معركة النهروان، ولكن الله سلّم.

إنَّ عدد القتلى الكبير، والضغط النفسى الذى تسبِّبه الحرب، إضافةً إلى المشاكل الاقتصادية التى تنجم عن الحروب المتوالية، كل ذلك أدَّى إلى

-۱تاريخ اليعقوبى، ج۲، ص۲۱۴.

-۲تاريخ الطبرى، انظر: الطبرى، ج۳، ص۵۴۳.

-۳تاريخ اليعقوبى، ج۲، ص۱۸۳.

-۴مروج الذهب، المسعودى، ج۲، صص۴۰۴ و ۴۰۵.

إرهاق أهل الكوفة، ومطالبتهم بالصلح وترك الحرب، حتى أخذوا ينادون: (البقية البقية(۱). (

-۴ظهور الشائعات وحدوث اضطرابات داخلية

إنَّ أحد الأساليب التى اعتمدها معاوية لأجل إضعاف الجيش الكوفى، هو نشر الإشاعات، حيث قام ببثِّ شائعة أنَّ الإمام الحسن (ع) قد رضى بالصلح، وذلك قبل حدوث أى موافقة من قِبل الإمام. قال اليعقوبى:

وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن مَن يتحدَّث أنَّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ويوجِّه إلى عسكر قيس مَن يتحدَّث أنَّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه، ووجَّه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة، وعبدالله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أم الحكم، وأتوه وهو بالمدائن نازل فى مضاربه، ثُمَّ خرجوا من عنده وهم يقولون ويُسمِعون الناس: إنَّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح(٢).

وقد أدّت هذه الشائعات، التى أثارها معاوية وغيره، إلى حدوث اضطرابات عرَّضت حياة الإمام إلى الخطر، فقد جاء فى كتب التاريخ: «فبينا الحسن فى المدائن، إذ نادى مناد فى العسكر: ألا أنَّ قيس بن سعد قد قُتل، فانفروا، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن [(ع)]، حتى نازعوه بساطاً كان تحته(٣). «

هذه إشارة إلى مُجمَل الأسباب التى اضطرَّت الإمام إلى الصلح، حيث

١-الكامل فى التاريخ، ج٣، ص٤٠٦.

٢-تاريخ اليعقوبى، ج٢، صص٢١٤ و ٢١٥.

٣-تاريخ الطبرى، ج٤، ص١٢٢.

بلغت الظروف آنذاك مدىً بعيداً من السوء، إذ تحدّث الإمام عن تلك الظروف وقال: «والله لو قاتلت معاوية، لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى إليه سلماً(١). «

إذن بعد معرفة أسباب الصلح، يظهر أنَّ الإمام لم يسلِّم الأمر لمعاوية عن رضا، وإنَّما أُجبر على ذلك، ولو كانت بيده زمام الأمور و أطاعه حبيشه لما صالح و لقاتل معاوية قتالاً بلا هوادة، فقد قال (ع) فى كلامٍ له مع أهل الكوفة:

وأنَّ معاوية دعانا إلى أمرٍ ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإنْ أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عزوجل بظبا السيوف، وإنْ أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا. فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية(٢).

١-الاحتجاج، الطبرسى، ج٢، ص١٠.

٢-ترجمة الإمام الحسن ع ، ابن عساكر، ص١٧٩؛ تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص١٨٧.

نتائج الصلح وثمراته

اشارة

من أهمِّ نتائج الصُّلح وثمراته هو ما يلى:

-١إصلاح الأُمَّة وحقن دماء المسلمين

وهذا ما حدّث به الإمام الحسن (ع) فى خطبته بعد الصلح، قائلاً:

أمّا بعد أيُّها الناس، فإنَّ الله هداكم بأوَّلنا وحقن دماءكم بآخرنا، ألا أنَّ أكيس الكيس التقى، وأنَّ أعجز العجز الفجور، وأنّ هذا الأمر الذى اختلفت أنا ومعاوية فيه، إمّا أن يكون أحق به منّى وإمّا أن يكون حقّى تركته لله عزَّ وجل، ولإصلاح أُمّة محمد (ص) ، وحقن دمائكم. ثُمَّ التفت إلى معاوية وقال، وإن أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين. فأمره معاوية بالنزول(١).

فلو دقَّقنا بهذا النص، سنجد أنَّ الإمام الحسن (ع) يخاطب الأُمَّة ويدعوها إلى التمييز والحصافة والكياسة بين ما وقع بينه وبين معاوية فى أمر الصلح، فإمّا أن يكون معاوية على حق، وإمّا أن يكون الحق معه (ع) ، ولكنْ تركه

-١أسد الغابة، ابن الأثير، ج٢، ص ١٤؛ الدر المنثور، السيوطى، ج ۴، ص ٣۴٢؛ فتح البارى، ج١٣، ص ۵۴.

لوجود مصلحة كبرى؛ لانَّ فى هذا الصلح إصلاح للأُمّة – كما سنبينه، وهو بيان فضح معاوية –، ثُمَّ أشار الإمام إلى أنَّ هذا الصلح لمَن لايفهم معنى الإمامة هو فتنة وامتحان. وواضح أنَّ الإمام الحسن يروم ذلک، وهو أنَّ الحق معه لغرض الإصلاح وحقن الدماء، لذا أمره معاوية بالنزول.

وقال (ع) ، حين خاطبه سليمان بن الصرد:

فإذا شئت فأعدت الحرب عدة، وأذن لى فى تقدّمک إلى الكوفة. فقال الإمام (ع) : أنتم شيعتنا وأهل مودَّتنا، ما كان معاوية بأشدّ منّى بأساً، ولاأشدَّ شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكنّى أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلت إلّا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله تعالى، وسلّموا لأمره، والزموا بيوتكم وأمسكوا(١).

وقد علَّق السيد المرتضى على هذا الكلام بقوله: «وهذا كلام منه (ع) يشفى الصدور ويذهب بكلّ شبهة(٢). «

وكذلک حينما سُئل (ع) من بعض أصحابه عن مداهنة معاوية ومصالحته، مع علم الإمام بدهاء معاوية وضلاله:

يابن رسول الله، لمَ داهنت معاوية وصالحته، وقد علمت أنَّ الحق لک دونه وأنَّ معاوية ضالٌّ باغ؟ فقال: يا أبا سعيد، ألستُ حجّة الله تعالى على خلقه وإماماً عليهم، قلت: بلى، قال: ألستُ الذى قال رسولالله (ص) لى ولأخى (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟) قلت: بلى، قال: فانا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذ لو قعدت، يا أبا سعيد، علَّة مصالحتى لمعاوية

-١تنزيه الأنبياء، السيد المرتضى، صص ٣٣٠- ٣٣١.

-٢المصدر نفسه، ص ٣٣١.

علّة مصالحة رسول الله (ص) لبنى ضمرة وبنى أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئک كفَّار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل. سخطتم علىَّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما تُرک من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلّا قتل(١).

وكذلک روى الصدوق بسنده عن أبى سعيد، قال:

لمَّا صالح الحسن بن على (ع) معاوية بن أبى سفيان، دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال (ع) : ويحكم، ما تدرون ما عملت، والله الذى عملت خير لشيعتى ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت(٢).

وأيضاً ما ورد عن الإمام الصادق فى وصيّته لأبىجعفر محمد بن النعمان الأحول، المعروف بمؤمن الطاق:

اعلم إنَّ الحسن بن على (ع) لمَّا طعن واختلف الناس عليه، سلَّم الأمر لمعاوية، فسلَّمت عليه الشيعة: عليک السلام يا مذلّ المؤمنين, فقال (ع) : ما أنا بمذلّ المؤمنين ولكنّى معزّ المؤمنين, إنّى لمّا رأيتكم ليس بكم عليهم قوّة، سلّمت الأمر لأبقى أنا وانتم بين أظهرهم, كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها، وكذلک نفسى وأنتم لنبقى بينهم(٣).

فهنا الإمام الحسن (ع) يعامل الأُمَّة التى خانته بمنتهى العطف والرحمة، بحيث يُشعرهم بالعز بعد انكسارهم، وأنَّهم ليسوا بتلک القوة التى يجابهون بها معاوية، وهو يعلم بضعفهم، ولكن يريد أن يقول لهم أنتم جزء العلّة فى

-١علل الشرايع، الصدوق، ج ١، ص٢١١.

-٢كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص ٣١٦؛ كشف الغمة، الأربلى، ج ٣، ص ٣٢٨.

-٣تحف العقول، ابن شعبة الحرانى، ص ٣٠٨.

ص۷۴:

قبولی للصلح، للحفاظ علیکم، ثُمَّ یضرب لهم مثلاً رائعاً من القرآن وهو خرق السفینة التی کانت السبب فی حفاظها وبقائها لهم.

۲ -الحفاظ علی السنَّة النبویة المتمثِّلة بالثقل الثانی للکتاب

إنَّ الإمام الحسن (ع) بهذا الصلح حافظ علی البقیة الباقیة من مُحبِّی الإمام علی (ع) وأهل بیته وشیعته، لعلّهم ینشرون علومهم وسیرتهم؛ لانَّ فی ذلک حفاظ علی الثقل الاصغر والعدل للقرآن، وهذا ما أفاده الکاتب حسن بن فرحان المالکی قائلاً:

فکان الحسن بن علی بین أمرین، إمَّا أن یستعین بهذه القلَّة من المخلصین ضدّ هذه الجموع الکبیرة، وإمّا أن یلجأ لمصالحة معاویة، فکان هذا الخیار الأخیر هو الذی ترجّح عندالحسن؛ لحفظ البقیة الباقیة من مُحبّی الإمام علی وأهل البیت، لعلَّهم ینشرون علومهم وسیرتهم. وکان اللجوء للخیار الأوَّل (محاربة معاویة) یعنی – إلی حدٍّ کبیر – القضاء علی کل مَن یذکر الإمام علی بخیر من أهل العراق، وبهذا یضیع فضل وآثار (الثقل الثانی) بعد کتاب الله(۱).

فجاء الصلح حافظاً لآثار الثقل الثانی، المتمثّل بالعترة الطاهرة، وبیان فضلهم وآثارهم فی کافة مجالات الحیاة، العلمیة والسیاسیة والاجتماعیة.

۳ -فضح معاویة من خلال وثیقة الصلح

اشارة

إنَّ واحدةً من نتائج الصلح مع معاویة هی فضحه، وبیان نفاقه وغدره، وکشف حاله أمام شریحة کبیرة ممَّن خُدع بخلافته من المسلمین، فإنَّ هناک

۱-قراءة فی کتب العقائد، حسن بن فرحان المالکی، صص ۷۰۷۱.

ص:۷۵

شروطاً وضعها الإمام علی معاویة ألزمه بها لکی یکشف الوجه الحقیقی لمعاویة، من خلال نقضه لهذه العهود والشروط، وفعلاً لم یتقیَّد بتلک الشروط، ممَّا أثار حفیظة المسلمین، وبدأ الشک یسری عند الصحابة وکبار التابعین، بحیث نجد أنَّ عبدالرحمن بن شریک النخعی إذا حدَّث بذلک یقول: هذا والله هو التهتُّک(۱) .

معاوية فى ميزان الإمام الحسن (ع(

وقد قيّم الإمام الحسن (ع) معاوية حينما قارن بينهما، وهذه المقارنة تكشف شخصية معاوية للناس، من حيثية النسب والنفاق والمكر والخداع والشر. قال ابن أبى الحديد:

قال أبوالفرج: وحدّثنى أبوعبيد محمد بن أحمد قال: حدَّثنى الفضل بن الحسن البصرى قال: حدَّثنى يحيى بن معين قال: حدَّثنى أبوحفص اللبان عن عبدالرحمن بن شريک، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن حبيب بن أبى ثابت قال: خطب معاوية بالكوفة حين دخلها، والحسن والحسين جالسان تحت المنبر، فذكر علياً فنال منه، ثُمَّ نال من الحسن، فقام الحسين ليردّ عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثُمَّ قام فقال: أيُّها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبى على، وأنت معاوية وأبوک صخر، وأُمّى فاطمة وأُمّک هند، وجدّى رسول الله وجدک عتبة بن ربيعة، وجدّتى خديجة وجدّتک قتيلة. . فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين.

-١النصائح الكافية، محمد بن عقيل، ص ١٩۴.

ص:٧۶

قال الفضل: قال يحيى بن معين: وأنا أقول آمين.

قال أبوالفرج: قال أبو عبيد: قال الفضل: وأنا أقول آمين.

ويقول على بن الحسين الأصفهانى: آمين.

قلت: ويقول عبدالحميد بن أبى الحديد مصنّف هذا الكتاب: آمين(١).

إذن، الإمام الحسن (ع) شخّص الداء ووضع الأمور فى نصابها الصحيح، فلا تكشف هذه الوثيقة إطلاقاً على أنَّه (ع) سلّمها لمعاوية طائعاً، بل الإمام كشف وفضح معاوية بهذا الصلح للرأى العام.

-۴التمهيد لثورة الحسين فى كربلاء

قال كامل سليمان:

فآثار الصلح، مجتمعة ومتفرّقة، بدأت تُهيِّئ الانقلاب بتُؤدة، بل كانت أوَّل تحفّز لأمرٍ موعده يوم كربلاء. . . وقد بدأ هذا التحفّز يوم صالح الحسن معاوية على أن يعمل بكتاب الله، فخالفه وحكم بالولد لأُمّه! (ادعوهم لآبائهم) ، أى يوم استلحق زياداً، ورضيا معاً بإعلان الزنا بين الأب – أبى سفيان والأُم – سمية –! ! وبمخالفة السنَّة وقول النبى (الولد للفراش وللعاهر

الحجر) . . . وبدأ التحفّز ساعة تراضيا على أن يعهد للحسن أو لأخيه الحسين بالخلافة، فسمَّ الأوّل وهيَّأ قتل الثانى، وساعة وقَّعا وثيقة بأمان الناس فى مختلف الأوطان، فأرعبهم وعاث فيهم تقتيلاً وتشريداً، وساعة أعطى عهوداً كثيرةً ولم يفِ بشىء منها(۲) . . . .

-۱شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج ۱۶، صص ۴۷-۴۶؛ مقاتل الطالبيين، ص ۴۶؛ الإرشاد، ج۲، ص۱۵؛ المناقب، ابن شهر آشوب، ج۳، ص ۱۹۸.

-۲الحسن بن على، كامل سليمان، ص ۱۲۰.

ص:۷۷

إذن مما تقدم يتّضح أن نتائج الصلح و ثمراته قعود بالفائدةِ على سائر المسلمين من خلال حفظ دمائهم و أعراضهم، وكذلک الحفاظ على السنة النبوية المتمثلة بالثقل الثانى للكتاب، وايضاً التمهيد لثورة الحسين (ع) ، التى سوف يُكمل بها (ع) فَضح الإنحرافى الاموى، المتمثل

بخلافة يزيد بن معاوية و التى لاعت إلى الدين والإسلام بصلة .

ص:۷۹

الفصل الثالث: شبهات حول صُلح الإمام الحسن (ع(

اشارة

ص:۸۱

الشُبهة الأولى: تسليم الخلافة لمعاوية كاشف على عدم النص على الإمامة

اشارة

قال الدكتور ناصر بن عبدالله القفارى»(۱) :كيف استحلَّ الحسن والحسين (رضى الله عنهما) إبطال عهد رسول الله (ص) إليهما طائعين غير مكرهين، مع أن الحسن معه أزيد من مائة ألف عنان يموتون دونه؟(۲). «!

ثُمَّ قال:

فتالله، لولا أنَّ الحسن (رضى الله عنه) علم أنَّه فى سِعة من تسليمها إلى معاوية، وفى سعةٍ من أن لا يسلّمها، لما جمع بين

الأمرين، فأمسكها ستة أشهر لنفسه وهى حقّه، وسلَّمها بعد ذلک لغير ضرورة، وذلک له مباح، بل هو الأفضل بلا شک؛ لأنَّ جده رسول‌الله (ص) قد خطب

-١أستاذ سلفى فى علوم العقيدة فى جامعة أم القرى فى المملكة العربية السعودية، له مجموعة من الكتب ينال فيها من المذهب الشيعى، ومنها رسالته فى الدكتوراه أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية، عرض ونقد ، نال فيها درجة الشرف الأُولى، وتدرّس فى الجامعات السعودية.

-٢أصول مذهب الشيعة، ناصر بن عبدالله القفارى، ج٢، ص٨۶۴.

بذلک على المنبر وقال: (إنَّ ابنى هذا سيد، ولعلّ الله أن يُصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين) . رويناه من طريق البخارى(١).

جواب الشبهة

عدم التفريق بين الإمامة السياسية والإلهية

إنَّ الدكتور القفارى لم يفرّق بين أمرين أساسيّين فخلط بينهما، ولعلَّه كان قاصراً عن إدراک هذا المعنى، فأسَّس كلامه على فهم خاطئ للإمامة، ممّا أوقعه فى شُبهة أنَّ الإمام الحسن قد تنازل عنها، وأنَّه سلّمها لمعاوية طوعاً، وغير ذلک. . . وهذا الفهم ليس صحيحاً وفق وجهة النظر الشيعية.

فهناک فرق كبير بين الخلافة بلحاظ كونها حكومة سياسية، وبين الإمامة الإلهية.

فالإمامة الإلهية، ليس تفويضها باختيار الأُمَّة؛ لأنَّها متوقِّفة على العصمة وعلم الكتاب، والعصمة من الأمور الخفيَّة التى لا يطَّلع عليها إلّا عالم السرائر، فكيف يجوز للحكيم (تعالى شأنه) أن يفوّضها إلى اختيار الأُمّة، الجاهلين بمواقعها وحدودها؟ ! وهل هذا إلّا إهمال وإخلال بالحكمة؟ ! تعالى الله عنه علوّاً كبيراً(٢).

فالإمامة الإلهية لا يمكن التنازل عنها؛ لأنَّها مجعولة لهم (عليهم السلام) بجعلٍ إلهى، فلا نتصوَّر انتزاع ذلک المقام منه أو التخلّى عنه، فالإمام إمام حتى لو كان جالساً فى بيته أو قابعاً فى غياهب السجون، وليس الحكم إلّا وظيفة من

-١أصول مذهب الشيعة، ج٢، صص٨۶۴ و ٨۶۵.

-٢مصباح الهداية فى إثبات الولاية، على البهبهانى، ص ١۴٣.

ص:٨٣

وظائفه وطريقاً لإجراء وتنفيذ الأحكام الإلهية. نعم ينبغى عليه أخذه فيما لو توفَّرت الظروف الموضوعية له.

إذن، فالرئاسة والحكومة الظاهرية الصورية قد يُتنازل عنها، وهذا أميرالمؤمنين (ع) قد وصف هذه الخلافة بأنَّها لا تساوى شسع نعله، وهى أزهد عنده من عفطة عنز.

فليس للخلافة قيمة فى قبال الإسلام وسلامة أمور المسلمين، وهو القائل:

أما والذى فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطة عنز(١).

فمَن تكون الدنيا عنده أهون من عفطة عنز، ولا تساوى الخلافة عنده شسع نعله، لاسيما أنَّ هناک من الأُمّة مَن يتنافس على حطام الدنيا وزخارفها وزبرجها، فكيف لا يرفضها؟!

ومن هذا المنطلق نجد أنَّ الإمام الحسن (ع) لا يختلف عن أبيه فى التنازل عن هذا المنصب؛ لمقتضى الظرف والحكمة التى جعلته فى نظر الآخرين أنَّه تنازل عنها، مع حفظ إمامته الإلهية الربانية؛ لأنَّه لا يمكن مصادرتها أو غصبها، بشهادة قول رسول الله (ص) «ابناى هذان إمامان، قاما أو قعدا(٢). «

-١شرح نهج البلاغة، ج۶، ص ١۶۶.

-٢الإرشاد، ج٢، ص ٣٠؛ علل الشرائع، ج١، ص ٢١١؛ الفصول المختارة، ص٣٠٣؛ المناقب، ج٣، ص١٣۶، قال: «واجتمع أهل القبلة على أنّ النبى قال: الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا» . وانظر: مجمع البيان، الطبرسى، ج۴، ص ١٠۴، قال: «وقد صحَّ فى الحديث أنه قال لهما: ابناى هذان إمامان، قاما أو قعدا. «

ص:٨۴

فالحسن والحسين (عليهما السلام) ، إمامان قاما أو قعدا، سواء مارس الخلافة أولم يمارسها.

خلط القفارى فى عدد الجيش الذى ذكره المؤرّخون

أمَّا ما تحدَّث به القفارى خلال كلامه عن عدد جيش الإمام الحسن (ع) ، حيث ذكر أنَّ معه (ع) أزيد من مائة ألف عنان يموتون دونه، فهو يتحدَّث عن عددٍ يتجاوز المائة ألف من المستميتين المتفانين فى سبيل الإمام (ع) ، ولكنَّ هذا غير صحيح؛ لأنَّ أهواء الجيش وعدم اتّحاده، وإرهاق الناس وتعبهم، أدَّى بالنتيجة إلى الصلح.

تحقيق فى عدد جيش الإمام الحسن (ع(

اشارة

وأمّا عدد الجيش، فهو مبالغ فيه جداً، ويعتمد على روايات قابلة للمناقشة، لذا نحاول هنا الحديث عن عدد الجيش.
لقد اختلف عدد جيش الكوفة والشام اختلافاً فاحشاً، فقد بلغ جيش الشام ستين ألف مقاتل، بينما تراوح عدد جيش الكوفة بين أعداد مختلفة نذكرها تباعاً:

١ -ما رواه ابن قتيبة (مائة ألف(

اشارة

قال ابن قتيبة:
وذكروا أنَّه لمَّا تمَّت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعاً إلى الشام، أتاه سليمان بن صرد، وكان غائباً عن الكوفة وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن فقال: السلام عليک يا مذلّ المؤمنين، فقال الحسن: وعليک السلام، أجلس لله أبوک، قال: فجلس سليمان، فقال :

ص:٨٥
أمّا بعد، فإنَّ تعجّبنا لا ينقضى من بيعتک معاوية ومعک مئة ألف مقاتل من أهل العراق، وكلهم يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتک من أهل البصرة وأهل الحجاز(١) .

تفرُّد ابن قتيبة بهذا العدد

إنَّ ابن قتيبة قد تفرَّد بنقل عدد المائة ألف – خاصة وأنَّ القفارى لايعطى أىّ قيمة لما ينقله ابن قتيبة –، بينما نقل السيد المرتضى وغيره حديث سليمانبن صرد مع الإمام الحسن (ع) ، وذكر عدد الأربعين ألفاً، فقد جاء:
لمّا بايع الحسن (ع) معاوية، أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف والحسرة على ترک القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية، فقال له سليمان بن صرد الخزاعى: ما ينقضى تعجّبنا من بيعتک لمعاوية، ومعک أربعون ألف مقاتل من

أهل الكوفة، كلهم يأخذ العطاء وهم على أبواب منازلهم، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتک من أهل البصرة والحجاز(۲) .

إضافةً إلى ذلک أنَّ سليمان كان غائباً عن الكوفة، فلم يكن يعلم بما جرى فيها من تخاذلٍ وخيانةٍ، وكان يتصوّر أنَّ الأيام كأيام أميرالمؤمنين (ع) فى صفين، حيث اجتمع إليه عشرات الآلاف من أهل الكوفة وغيرهم، ولذلک لا يمكن التعويل على كلام سليمان فى تحديد عدد الجيش(۳).

۱- الإمامة والسياسة، ج۱، ص۱۴۱.

۲- تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، ص۲۲۳ .وراجع أيضاً: مناقب آل أبى طالب، ج۳، ص۱۹۷؛ بحارالأنوار، مجلسى، ج۴۴، ص۲۹، فإنهم كلهم يذكرون عدد الأربعين ألفاً.

۳- صلح الحسن، الشيخ راضى آل ياسين، ص۱۱۹.

ص:۸۶

۲ -ما رواه اليعقوبى (تسعون ألف(

اشارة

وهو العدد الذى ذكره زياد بن أبيه فى جواب تهديد معاوية له، حيث قال:

إنَّ ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق وبقية الأحزاب كتب يتوعَّدنى ويتهدَّدنى، وبينى وبينه ابنا بنت رسول الله فى تسعين ألفاً [وفى رواية: فى سبعين ألفاً(۱) [واضعى قبائع سيوفهم تحت أذقانهم، لا يلتفت أحدهم حتى يموت(۲). . . .

عدم الوثوق بنقل هذا العدد لانَّ الناقل هو زياد بن أبيه

وهذا العدد أيضاً لا يمكن التعويل عليه؛ لغياب زياد عن مجمل الأحداث آنذاک، حيث كان والياً على فارس(۳)، ولذلک لا يكون خبره ناشئاً عن مشاهدة وحس، بل عن حدس.

۳ -ما رواه ابن عساكر وابن كثير الدمشقى (سبعون أو ثمانون ألفاً(

اشارة

روى ابن عساكر وابن كثير، واللفظ للأوّل، عن زيد بن أسلم، قال:

دخل رجل على الحسن المدينة وفى يده صحيفة فقال: ما هذه؟ قال: من معاوية يعدُ فيها ويتوعَّد، قال: قد كنت على النصف منه، قال: أجل؛ ولكنّى خشيت أن يأتى يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً، أو أكثر أو أقل، كلهم تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدى الله فيمَن أهريق دمه(۴) .

۱-الكامل فى التاريخ، ج۳، ص۳۲۲.

۲-تاريخ اليعقوبى، ج۲، ص۲۱۸.

۳-الأعلام، خيرالدين الزركلى، ج۳، ص۵۳.

۴-تاريخ مدينة دمشق، ج ۱۳، ص ۲۸۱؛ البداية والنهاية، ج۸، ص۴۶.

العدد المذكور يشمل جيش الكوفة والشام معاً

فهنا الإمام الحسن، وفق هذه الرواية، يرى أنَّ عدد الجيش بين الشام والكوفة هو سبعون أو ثمانون الفاً، إذ الجميع يستعدى الله فيمن أهريق دمه، وقد علمنا أنَّ جيش الشام كان ستين ألفاً، فلا يبقى من جيش الكوفة إلّا عشرون ألفاً على أكبر تقدير. وممّا يشهد لذلک تردّد الإمام فى ذكر العدد، ولو كان ناظراً إلى عدد جيشه فقط، لما تردَّد فيه؛ لأنَّه أعرف بعدد جيشه، فيكون التردُّد ناشئاً من إضافة جيش الشام إلى جيش الكوفة.

۴-ما رواه الطبرى وابن الأثير وابن أبى الحديد (أربعون ألفاً(

اشارة

روى الطبرى عن الزهرى: «فخلص معاوية، حين فرغ من عبدالله بن عباس والحسن [(ع)]، إلى مكايدة رجل هو أهمّ الناس عنده مكايدةً، ومعه أربعون ألفاً(۱) . «وقال ابن الأثير:

كان أميرالمؤمنين على قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت، لمَّا ظهر ما كان يخبرهم به عن أهل الشام، فبينما هو يتجهَّز للمسير، قُتل [(ع)]، وإذا أراد الله أمراً فلا مردَّ له، فلمَّا قُتل وبايع الناس ولده الحسن، بلغه مسير معاوية فى أهل الشام إليه، فتجهَّز والجيش الذين كانوا بايعوا علياً، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية(۲) .

وروى ابن أبى الحديد عن المسيّب بن نجيهٔ، أنَّه قال للحسن (ع) : «ما ينقضى عجبى منک، بايعت معاويهٔ ومعک أربعون ألفاً؟(۳). «!

-۱تاريخ الطبرى، ج۴، ص۱۲۵.

-۲الكامل فى التاريخ، ج۳، ص۴۰۴.

-۳شرح نهج البلاغهٔ، ابن أبى الحديد، ج۱۶، ص۱۵.

إلّا أنَّ هذا العدد أيضاً لا يساعد عليه الاعتبار، وذلک لأمرين:

الأوّل: إنَّ الذى ذكر هذا العدد قد أغفل ما حدث من تخاذل وهروب أكثر أفراد الجيش إلى معسكر معاويهٔ، حيث هرب مع عبيدالله بن عباس ثمانيهٔ آلاف(۱) ، وهرب أحد قادهٔ الجيش وكان من كندهٔ مع مائتى شخص من خاصته(۲) ، وأكبر الظن أنَّ ذكر عدد الأربعين ألفاً ناشئ من ملاحظهٔ العدد الذى اجتمع لأميرالمؤمنين (ع) قبل شهادته، كما يظهر ذلک من عبارهٔ ابن الأثير المتقدمهٔ.

وأمّا ما ذكره الطبرى عن الزهرى، من اعتبار من بقى مع قيس بن سعد، بعد هروب عبيدالله، أربعين ألفاً، فهو يتنافى مع الروايات، التى تنصّ على أنَّ الذين أرسلهم الإمام الحسن (ع) مع عبيدالله هم اثنا عشر ألف رجل فقط(۳) ، وعند هروبه هرب معه ثمانيهٔ آلاف، فلم يبقَ مع قيس بن سعد، الذى صار قائداً للجيش بعد هروب عبيدالله إلّا أربعهٔ آلاف، لاأربعون ألفاً.

الثانى: إنَّه لا يتَّفق مع كلمهٔ الإمام الحسن (ع) المتقدّمهٔ، التى أشار فيها إلى عدد الجيش، والتى لم تكن تدل على أكثر من عشرين ألفاً على أكبر تقدير.

العدد المعقول الذى يمكن الوثوق به

إنَّ ما يمكن الاطمئنان إليه من العدد النهائى للجيش، هو عشرون ألفاً كحدٍّ أقصى، وهو ما يمكن فهمه من عبارهٔ الإمام الحسن (ع) المتقدمهٔ.

-١تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص٢١٤.

-٢بحارالأنوار، العلامة المجلسى، ج٤٤، ص٤٤.

-٣شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج١٦، ص٢٢.

ص:٨٩

وعلى أى حال، فإنَّ ما نقله القفارى من أنَّ عدد الجيش أكثر من مائة ألف، مجانب للصواب وغير مطابق للحقيقة(١).

وقفة مع رواية الصلح (إنّ ابنى هذا سيّد ولعلَّ الله(. . .

أمَّا ما استدل به القفارى من حديث: (إنَّ ابنى هذا سيد، ولعلّ الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين) ، على أفضلية وأرجحية تنازل الإمام الحسن (ع) عن الإمامة، بالنسبة إلى إمساكها والتشبّث بها.

فالجواب

١ -عدم ثبوت هذه الرواية من طرقنا؛ ولذا لا يمكن التعويل عليها لإثبات شيء

٢ -إنَّ هذه الرواية آحاد، ومُختلَف فى وصلها وإرسالها

ذكر الشيخ حسن بن فرحان المالكى مقارنة بين هذا الحديث وحديث (عمار تقتله الفئة الباغية) حيث قال:

ويردِّدون كثيراً حديث (ابنى هذا سيد ولعلّ الله أن يصلح به. . .) ويهملون حديث عمار (تقتله الفئة الباغية) ، مع أنَّ حديث صلح الحسن آحاد ومُختلَف فى وصله وإرساله، كما ذكر الدار قطنى فى العلل، بينما حديث عمار متواتر ومتَّفق على صحته(٢) .

فهو يرى أنَّ حديث الصلح حديث آحاد لا يعوَّل عليه، وكذلك مختلَف فى إرساله وقطعه، فلا يمكن الوثوق به.

-١وللتفصيل أكثر حول عدد الجيش، راجع: صلح الحسن ع ، الشيخ راضى آل ياسين، ص١١، وما بعدها .

-٢قراءة فى كتب العقائد، ص ٧٤.

ص:٩٠

٣ -الرواية نبوءة بالمستقبل، تدلّ على التوقع والاحتمال

إنَّ هذه الروايةَ إنْ دلّت، فإنَّما تدل على الإخبار عمّا سوف يحصل فى المستقبل من الصلح، فهى بعبارةٍ أخرى نبوءةٌ بالمستقبل، ولا دلالةَ فيها على أفضليةٍ وأرجحيةِ الصلح، ولا دلالةَ للتعبير ب- (لعل) على الرجحان والتمنّى، بل هى تدل على التوقع والاحتمال والتقليل.

-۴الروايةُ ليس فيها دلالةٌ على رجحان الصلح فى ذاته.

لو سلَّمنا دلالةَ الروايةِ على رجحان الصلح، فهى لا تدل على رجحان نفس الصلح فى حدِّ ذاته، وفى أى ظرف كان، فإنَّ الإمام الحسن (ع) هو الإمام بلا منازع، وهو الذى بايعه المهاجرون والأنصار، وهو الأعلم بالمصلحة.
فرجحان الصلح يكون مؤدياً للغرض فيما لو كان تركه يؤدّى إلى تسلط ذلک الباغى بالقوة على الحكم، ممّا يؤدِّى إلى سفک دماء الثلة الباقية من أنصار الإمام الشرعى، وتعريض حياة الإمام إلى الخطر، حيث ينتهى إلى ضياع الحق وذهاب الدماء هدراً.
إذن، لو سلَّمنا دلالةَ الروايةِ على رجحان الصلح، فهى إنَّما تدل عليه فى حالة فقدان الناصر، وكون الإصرار على القتال يؤدِّى إلى ضياع الحق، فلا يمكن اعتبار الصلح راجحاً على أى حال.

-۵إنَّ التعبير عن الطائفتين بالمسلمة لا ينفع طائفةَ معاوية، ولا يحوّلها من طائفةٍ باغيةٍ إلى طائفةٍ محقّة

نعم هى مسلمة ظاهراً، لكنَّ وصمةَ البغى قد التصقت بها منذ أن قتلت عماراً، وخرجت على إمام زمانها أمير المؤمنين (ع) والإمام الحسن (ع (،

ص:۹۱

ولم‌تتب عن تلک الخطايا، وإنَّما تمادت فى غيّها واستمرت على أفعالها.
وأكبر الظن أنَّ هذه الطائفة هى التى وضعت هذا الحديث، عندما هدأ بالها واستتبَّت لها الأمور؛ دعماً لموقفها وتبريراً لتمرّدها.
إذن هذه الشبهة ضعيفة، وليس فيها ما يدل على تنازل الإمام الحسن لمعاوية، فلم يعط الإمام الشرعية له، بل كان الصلح وثيقة كشفت ما يكنّه معاوية من الحقد والبغض للإسلام، والإمام قد بيَّن الوجه الحقيقى لهذا الرجل، وأنَّه لا يمثِّل الإسلام وذلک حينما خاطبه الإمام الحسن (ع) بقوله: فاليوم فليتعجَّب المتعجِّب من توثّبک يا معاوية على أمرٍ لست من أهله، لابفضل فى الدين معروف، ولا أثر فى الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله (ص)

ولكتابه، والله حسيبک، فستردّ فتعلم لمَن عقبى الدار، وبالله لتلقينَّ عن قليل ربّک، ثُمَّ ليجزينّک بما قدمت يداک، وما الله بظلام للعبيد(۱).

۱-شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۳۴.

الشبهة الثانية: الامام الحسن مزواج مطلاق

اشارة

من الشبهات التى تُلاک على الألسن، هى أنَّ الإمام الحسن أقرب إلى الدعة والراحة منه إلى الحرب والجهاد، لذا جاء الصلح لهذا الغرض، من دون مراعاة المصلحة الإسلامية العُليا. معتمدين فى ذلک على بعض الروايات التى وردت فى مصادر الفريقين، والتى نعتقد أنَّها محل تأمُّل ودراسة.

الروايات التأريخية والحديثية

لقد أسهب المؤرِّخون والمُحدِّثون عن زوجات الإمام الحسن (ع) ، بل قد وصل الأمر إلى حدِّ المبالغة المُفرطة، بحيث نجد أنَّ أرقام الزيجات وصل إلى الخمسين والستين، بل والسبعين.

رواية المدائنى

قال المدائنى» :(۱) أُحصيت زوجات الحسن بن على، فكنَّ سبعين

۱-قال ابن حجر فى ترجمة المدائنى: «محمد أبو الحسن المدائنى الأخبارى. ذكره ابن عدى فى الكامل فقال: على بن محمد بن عبدالله بن أبى سيف المدائنى، مولى عبد الرحمن بن سمرة، وليس بالقوى فى الحديث، وهو صاحب الأخبار، قلَّ ماله من الروايات المسندة» . لسان الميزان، ج۴، ص ۲۵۳. فالرجل ليس قوى الحديث، وكذلک كثيراً ما تكون أسانيده مُرسلَة، وأيضاً هو مولى لعبد الرحمن‌بن سمرة الأموى، المشهور بعدائه للبيت العلوى.

امرأة(۱). «

وروی أیضاً، قال: «وخطب إلی رجل فزوَّجه، وقال له: إنِّی مزوّجک، وأعلم أنّک ملق طَلِق غلق، ولکنَّک خیر الناس نسباً، وأرفعهم جداً وأباً(۲). «

ثُمَّ علّق ابن أبی الحدید قائلاً: «قلت: أمَّا قوله ملق طِلق، فقد صدق، وأمَّا قوله غلق فلا، فإنَّ الغلق الکثیر الضجر(۳). «

فهنا ابن أبی الحدید یصدّق بمقالة المدائنی فی کون الإمام کثیر الطلاق، ولکنّه یعترض علی ضجره.

روایة ابن کثیر

وقال ابن کثیر: «قالوا: وکان کثیر التزوّج، وکان لا یفارقه أربع حرائر، وکان مطلاقاً مصداقا، یُقال إنَّه أحصن سبعین امرأة، وذکروا أنَّه طلَّق امرأتین فی یومٍ واحد(۴). «. . .

ولعلَّ ابن‌کثیر اعتمد علی المدائنی فی نقل هذا العدد، بدون التحقیق فی هذه المسألة، فالرجل ناقل لیس إلّا.

روایة أبی طالب المکّی

بل وتعدّی هذا الرقم إلی المئتین والخمسین، والثلاثمائة، بحیث نقل

۱- شرح نهج البلاغة، ج۱۶، ص ۲۲.

۲- المصدر نفسه، ص ۲۱.

۳- المصدر نفسه.

۴- البدایة والنهایة، ابن کثیر الدمشقی، ج۸، ص ۴۲.

أبوطالب المکی(۱) فی قوت القلوب:

وتزوّج الحسن بن علیّ رضی الله عنهما مائتین وخمسین امرأة، وقیل ثلاثمائة، وقد کان علیّ (ع) یضجر من ذلک ویکره، حیاءً من أهلیهنَّ إذا طلقهنَّ، وکان یقول: إنّ حسناً مُطلّقاً فلا تنکحوه(۲). . . .

روایة الکلینی والبرقی

وكذلک روى الشيخ الكلينى(٣)فى الكافى بعض هذه الروايات(۴)، وكذلک البرقى فى المحاسن(۵) .وغير ذلک.

الجواب

معايير وضوابط قبول الروايات

وللتحقيق فى هذا الأمر، لابد أن نناقش ونقيّم تلک الروايات، من

-١قال الخطيب البغدادى فى ترجمته: «محمد بن على بن عطية، أبو طالب، المعروف بالمكى، صنَّف كتابا سمَّاه قوت القلوب على لسان الصوفية، ذكر فيه أشياء منكرَةً مستشنعَةً فى الصفات. . . قدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ، فخلط فى كلامه. وحُفظ عنه أنَّه قال: ليس على المخلوقين أضرّ من الخالق. فبدَّعه الناس وهجروه» . تاريخ بغداد، ج٣، ص ٣٠٣. وذكر الصفدى عن ابن الجوزى: «قال ابن الجوزى فى المرآة: ذكر فى قوت القلوب أحاديث لاأصول لها» . الوافى بالوفيات، ج ۴، ص ٨٧. فالظاهر أنَّ الرجل غير معتَمد عند المحدّثين؛ وذلک لخلطه وابتداعه، وأنَّه يأتى بأحاديث لا أصول لها.

-٢قوت القلوب، أبو طالب المكى، ج٢، ص ۴٠٨.

-٣الروايات التى وردت من طُرقنا، سواء ما رواه الشيخ الكلينى أو البرقى أو غيره، سنأتى على مناقشة محتواها ومضمونها، فلا يمكن أن نسلّم بها؛ لفقدان المعايير التى نُخضع تلک الروايات لها، ومنها: القران، والسنّة القطعية، والعقل.

-۴الكافى، ج۶، ص ۵۶. ورويت أيضاً من طُرق أهل السنّة: المصنف، ابن أبى شيبة، ج۴، ص ١٧٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ١٣، ص ٢۴٩.

-۵المحاسن، البرقى، ج٢، ص ۶٠١.

ص:٩۶

حيث المحتوى والمضمون، بغضِّ النظر عن أسانيدها وما ورد من كثرتها.

فهناک معايير أُخرى لها مدخلية فى صدق أو رفض هذه المرويات وهذه الحكايات، التى تناولها الفريقان الشيعى والسنىّ على حدٍّ سواء.

فليس من الضرورة بمكان لو صحَّ سند رواية ما، أن نحكم بصحة محتواها ودلالتها.

ومن المعايير المهمة فى هذا المجال:

١ -عدم مخالفتها للكتاب.

٢ -عدم مخالفتها للسنَّة النبوية القطعية.

٣ -عدم مخالفتها لمُعطيات العقل.

۴ -عدم مخالفتها للواقع.

۵ -عدم مخالفتها للمسلَّمات التأريخية.

۶ -عدم مخالفتها لضروريات المذهب.

وغير ذلک من تلک المعايير، التى سنأتى على تفصيلها من خلال أقوال علماء الفريقين.

إذن، فبعض الأحاديث، وإنْ سلَّمنا بصحة سندها جدلاً، لكن قد نصطدم بمخالفتها لهذه الموارد الآنفة الذكر.

العلماء الّذين أوردوا بعض هذه المعايير

١ .الشيخ المفيد

قال: «متى وجدنا حديثاً يخالفه الكتاب، ولا يصح وفاقه له على حال أطرحناه، لقضاء الكتاب بذلک وإجماع الأئمّة (عليهم السلام) عليه. وكذلک إن وجدنا

حديثاً يخالف أحكام العقول، أطرحناه لقضية العقل(١). »

فكل حديث يخالف الكتاب، ولا يتوافق مع مفاهيمه ومعطياته، يجب طرحه، وكذلک العقل، يجب أن يُفعَّل ويُعطى مساحة فى تقييم الروايات من الناحية العملية، فكل حديث يخالفه وجب طرحه أيضاً.

٢ .الشيخ الطوسى

قال: «فإن كان ما تضمَّنه هذا الخبر ما يدل على خلاف متضمَّنه، من كتابٍ أو سنّة أو إجماع، وجب إطراحه والعمل بما دلَّ الدليل عليه(٢). »

فالمناط فى قبول محتوى الخبر عند شيخ الطائفة، هو موافقته للكتاب والسنّة والإجماع.

٣ .العلامة التسترى

وكذلک نجد هناک معايير أُخرى ذكرها علماؤنا، منها ما ذكره العلامة التسترى، فقد ذكر جملة من تلک المعايير، وجدناها متناثرةً فى كتابه (الأخبار الدخيلة) ، نذكر منها:

أ – العرض على القرآن(٣).

ب – العرض على السنّة القطعية(٤).

ج – عرض الحديث على العقل(٥).

١-تصحيح اعتقادات الإمامية، المفيد، ص ١۴٩.

٢-عدة الأصول، الشيخ الطوسى، ج١، ص ١۴٥.

٣-الأخبار الدخيلة، التسترى، ج٣، صص ٣١٣، ٣١۴، ٣١۶.

۴-المصدر نفسه، ج١، صص ١١۶، ١۴٧، ١۴٨.

٥-المصدر نفسه، صص ٢٣۶، ١۴٨.

ص:٩٨

د – مخالفة الحديث للواقع(١).

ه – عدم مطابقة الحديث مع شأن وأدب الأئمَّة(٢).

و – مخالفته لضروريات المذهب(٣).

۴.العلامة السيد محمد حسين الطباطبائى

وقد ذكر السيد الطباطبائى معياراً طالما كرَّره فى بعض كتبه، وهو العرض على القرآن، قال:

إن الحديث يحتاج إلى التأييد القرآنى، وعلى هذا يجب عرض الحديث على القرآن، كما ورد فى أحاديثٍ عن الرسول وأهل بيته (عليهم السلام. (

وعليه سبب النزول الوارد حول آية من الآيات، لو لم يكن متواتراً أو قطعى الصدور، يجب عرضه على القرآن، ممَّا وافقه مضمونه مضمون الآية يؤخَذ به ويُعمَل عليه.

ومعنى هذا أنَّ الحديث هو الذى يُعرَض دائماً على القرآن لا القرآن، يُعرَض على الحديث. وهذه الطريقة تُسقط أكثر أحاديث أسباب النزول عن الاعتبار(۴).

وقال أيضاً:

لم تزل تجرى هذه السيرة، وهى الصفح عن عرض الحديث على القرآن، مستمرّة بين الأُمّة، عملاً حتى اليوم، وإن كانت تنكرها قولاً، و قال الرسول: (يا ربّ إنَّ قومى اتَّخذوا هذا القرآن مهجوراً) اللّهم إلّا آحاد بعد آحاد.

-١الأخبار الدخيلة، ج١، ص ٢٥٠ و ج۴، ص ٣٠٧.

-٢المصدر نفسه، ج١، ص ٩٩ و ج٢، ص٣٠٥.

-٣المصدر نفسه، ج١، ص١٠٨.

-۴القرآن فى الإسلام، محمد حسين الطباطبائى، صص ١٢٥ و ١٢۶.

ص:٩٩

وهذا التساهل بعينه هو أحد الأسباب فى بقاء كثير من الخرافات القومية القديمة بين الأمم الإسلامية، بعد دخولهم فى الإسلام، والداء يجرّ الداء(١).

وهنا السيد الطباطبائى، فى هذا النص، يتألَّم ويشتكى من هذا التساهل، بل ويسمّيه الداء والمرض، ويرى أنَّ علَّته وسببه الأساس هو هجر القرآن، والابتعاد عن الفهم الحقيقى لمفرداته ومعانيه، التى لابد للأمَّة أن تعرض كلّ ما سوى القرآن على القرآن.

وكذلک نجد نفس هذا الأمر – وهو تقييم نقد المحتوى للحديث – يُردّده علماء أهل السنة.

۵.الخطيب البغدادى

قال الخطيب البغدادى: «ولا يُقبل خبر الواحد فى منافاة حكم العقل، وحكم القرآن الثابت المُحكَم، والسنَّة المعلومة، والفعل الجارى مجرى السنَّة، وكل دليل مقطوع به(٢). «

فالخطيب يرى عرض الحديث على العقل، وحكم القرآن، والسنة، والدليل المقطوع به، فلو خالف هذه المعايير، سقط عن الاعتبار، بغض النظر عن صحَّة السند.

۶.ابن الصلاح

وقال ابن الصلاح فى المقدّمة:

والحديث الصحيح ليس من شرطه أن يكون مقطوعاً به فى نفس الأمر،

-١تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائى، ج ٥، ص ٢٧۴.

-٢الكفاية فى علم الدراية، الخطيب البغدادى، ص ۴٧٢.

ص:١٠٠

إذ منه ما ينفرد برواية عدل واحد، وليس من الأخبار التى أجمعت الأُمَّة على تلقّيها بالقبول. وكذلک إذا قالوا فى حديث: إنَّه غير صحيح، فليس ذلک قطعا بأنَّه كذب فى نفس الأمر، إذ قد يكون صدقاً فى نفس الأمر، وإنَّما المراد به: أنّه لم يصحّ إسناده على الشرط المذكور(١).

فالمعيار عند ابن الصلاح تلقّى الأُمَّة له بالقبول.

٧ .الجصاص

قال: «وممّا يردّ به أخبار الآحاد أن ينافى موجبات أحكام العقول؛ لأنَّ العقول حجة الله، وغير جائز انتقاض ما دلَّت عليه وأوجبته، وكل خبر يضادّ حجة العقل فهو فاسد غير مقبول(٢). «

٨ .ابن القيم الجوزية

وقد تناول ابن القيم الجوزية هذه المسألة بنوع من التفصيل، وبيَّن نقد المحتوى بشكل وافى فى كتابه (المنار المنيف فى الصحيح والضعيف) ، ومن جملة ما ذكره:

مخالفة الحديث لصريح القرآن، واشتماله على المجازفات التى لا يقل بها رسول الله (ص) ، ومناقضة الحديث لما جاءت به السنَّة الصريحة، وأن يكون الحديث باطلاً فى نفسه، وأن يقترن بالحديث من القرائن التى يُعلم منها أنَّه باطل، وغير ذلک(٣).

-١مقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح، ص ١٧.

-٢الفصول فى الأصول، الجصاص، صص١٢١ و ١٢٢.

-٣المنار المنيف فى الصحيح والضعيف، ابن القيم الجوزية، ج١ ص ۵٠ وما بعدها.

ص:١٠١

إذن، فليس من اللازم أنَّه كلَّما صحَّ السند صحّ مضمون الحديث، فليس دائماً يكون المدار على رواة الحديث، فالرواة وإن

حازوا شروط العدالة والضبط، ولكنَّهم يبقون فى دائرة عدم العصمة، فالخطأ والوهم و. . . جائز فى حقَّهم، وإن وصفهم أصحاب الجرح والتعديل بكونهم ثقات وأثبات، وما شابه ذلک.

تقييم عام لأخبار (زواج وطلاق الإمام الحسن (ع)) وفق قواعد ومعايير قبول الروايات

اشارة

من هنا جاز لنا أن نقيّم الروايات بشكل عام وفق هذه الرؤية التى تقدَّم ذكرها.

١ .عصمة الإمام تأبى قبول هذا العدد الكبير

إنَّ الروايات التى ذكرت هذا العدد المهول من الزواج والطلاق، تتنافى مع عصمة الإمام التى نادى بها القرآن الكريم؛ لأنَّه ورد أنَّ أهل البيت مشمولين بآية التطهير، والتى تعنى العصمة، قال تعالى: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب:٣٣. (

والسنّة الشريفة حدَّدت هؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً، فقد روى مسلم فى صحيحه:

عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج النبى (ص) غداةً وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثُمَّ جاء الحسين فدخل معه، ثُمَّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثُمَّ جاء على فأدخله، ثُمَّ قال: إنّما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً(١).

-١صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٣٠.

وبطبيعة الحال أنَّ المعصوم لا يمكن أن يرتكب هكذا فعل، بحيث يصل الأمر به إلى تطليق خمسين امرأة، أو ثلاثمائة، فهذا الفعل بنظر الإمام يُعدّ ذنباً.

فهذه الروايات لا يمكن أن نطمئنَّ بمصداقيتها؛ فهى تحطّ من كرامة الإمام (ع) ، ولعلّ الإنسان العادى إذا فعل هذا الأمر يوبِّخُه العُرف، فكيف بالمعصوم؟!

ولعل إشكالاً يرد، أنَّه كيف تثبتون عصمتهم (عليهم السلام) بمقتضى هذه الآية؟

والجواب: «إنَّ تقريب الاستدلال بها على عصمة أهل البيت هو ما ورد فيها من حصر إرادة إذهاب الرجس – أى الذنوب – عنهم بكلمة (إنَّما) ، وهى من أقوى أدوات الحصر، واستحالة تخلُّف المُراد عن الإرادة بالنسبة له تعالى من البديهيات،

لمَن آمن بالله عزوجل، وقرأ فى كتابه العزيز: (إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . وتخريجها على أساسٍ فلسفى من البديهيات أيضاً، لمَن يُدرک أنَّ إرادته هى العلّة التامة، أو آخر أجزائها، بالنسبة لجميع مخلوقاته، واستحالة تخلُّف المعلول عن العلّة من القضايا الأوَّلية، ولا أقل كونها من القضايا المسلَّمة، وليس معنى العصمة إلَّا استحالة صدور الذنب عن صاحبها عادة(١). «

إذن هذه الرواية تتصادم مع الكتاب، وكذلک السنَّة القطعية، التى حدَّدت مصاديق هؤلاء المعصومين؛ لأنَّه وردت روايات كثيرة فى فضائلهم وعظمتهم من طُرق الفريقين. ومنها: إنَّهما سيدا شباب أهل الجنة، وهما إمامان قاما أو قعدا، أو هما أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً برسول‌الله (ص) ، وقد

١-انظر: الأصول العامة للفقه المقارن، محمد تقى الحكيم، ص ١۴٩.

تقدَّم هذا الكلام حول فضائله (ع) فى البحوث السابقة.

إذن، لا يمكن أن تنسجم هذه الروايات مع هذا الفعل المزعوم.

٢ -معاوية (الخصم للإمام الحسن) لم يذكر هذه القضية فى مناظراته

ومن الأمور التى يجب أن نلحظها ونُلفت النظر إليها – والتى تتصادم مع مُعطَيات العقل – هى أنَّ معاوية العدو اللدود للإمام على (ع) ، والذى كان يُثير الإحن والشبهات، ويتصيَّد فى الماء العكر كما يُقال؛ لم نجده يذكر هذا الزواج والطلاق للإمام الحسن، وهذا فيه دلالة أنَّ هذه الدعوى مُفتعلَة وباطلة، ولعلَّها أُثيرت بعد وفاة الحسن (ع) ، فى زمن الخلفاء العباسيِّين.

٣ -كُتب التأريخ والأنساب لم تطرح مثل هذا العدد

لو تتَّبعنا كتب التأريخ وكتب السِّير والرجال والأنساب، التى ذكرت عدد الزوجات وأسماءهنَّ، لم نجدها تصل إلى هذا العدد المبالغ فيه، والذى يصل إلى الخمسين، بل المئات؛ فقد ذكر أكثر من مؤرِّخ أنَّه تزوَّج من: خولة بنت منظور بن زبان الفزارية، وأُمُّها مليكة بنت خارجة بن سنان، وتزوَّج أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله، فولدت له ابناً سمّاه طلحة، وتزوَّج أُمّ بشر بنت أبى مسعود الأنصارى، فولدت له زيد بن الحسن، وتزوَّج جعدة بنت الأشعث بن قيس، وهى التى سقته السم، وتزوَّج هند ابنة سهيل بن عمرو، وحفصة ابنة عبدالرحمن بن أبى بكر، وتزوَّج امرأةً من كلب، وتزوَّج امرأة من بنات عمرو

بن أهتم المنقرى، وامرأةً من ثقيف، فولدت له عمراً، وتزوَّج امرأةً من بنات علقمةبن‌زرارة، وامرأةً من بنى شيبان، من آل همام بن مرة(۱).

۱-انظر: شرح نهج البلاغة، ج۱۶، ص ۲۱.

فالعدد لا يتجاوز الاثنى عشر امرأة، أو أكثر أو أقل، وهذا فى العرف السائد آنذاك لا يُعدّ شيئاً مَشيناً، حتى يُعاب عليه. ولو فرضنا العدد الذى أحصاه الرواة أو المؤرّخون، وأنَّه تزوَّج المائتين أو الثلاثمائة؛ لتجاوز أولاده هذا العدد المذكور.

أضف إلى ذلك أنَّ العُرف نفسه يستهجن كثرة هذه التطليقات؛ لأنَّها تخلق الضغائن أو المشاجرات، مع أنَّ التأريخ لم ينبس بشفة عن ذكر هذه الحالات.

إذن، التأريخ ينأى عن مثل هذا الكلام؛ لخلوِّه منه.

۴-عدد أولاد الإمام الحسن لا يتناسب مع هذه الكثرة من الزوجات

وكذلك لو فتَّشنا عن عدد أولاد الإمام الحسن (ع) ، لم نجد ذلك العدد – لو فرضنا أقلّه وهو الخمسين – الذى يتناسب مع عدد الزوجات المُبالغ فيه. قال ابن عنبة:

)وولد) أبىمحمد الحسن – فى رواية شيخ الشرف العبيدلى – ستة عشر ولداً، منهم خمس بنات، وأحد عشر ذكراً، هم: زيد، والحسن المثنّى، والحسين، وطلحة، وإسماعيل، وعبدالله، وحمزة، ويعقوب، وعبدالرحمان، وأبو بكر، وعمر(۱) .

وقال أبو نصر البخارى: «أعقب سيدنا أبو محمد الحسن بن على بن أبىطالب (ع) ثلاثة عشر ذكراً وستّ بنات، العقب منهم لاثنين لا غير، وابنة واحدة(۲). «

۱-عمدة الطالب، ابن عنبة، ص ۶۸.

۲-سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخارى، ص ۴.

إذن، يتَّضح أنَّ العدد المذكور، وهو تسعة عشر من الأولاد والبنات، لايتناسب مع زواجِ خمسين امرأة، فضلاً عن مئة.

بل إنَّ عدد الأولاد التسعة عشر يكاد يكون طبيعياً، لو قسناه فى عرفنا الحالى، فمَن تزوَّج امرأتين قد تُنجِب له هذا العدد.

-۵الشريعة أصَّلت مبدأ الاستمرار فى العلاقة الزوجية، ونهت عن الطلاق بصورة مغلَّظة

إنَّ فلسفة تشريع الطلاق تتوقَّف على عوامل لا يمكن للزوج الاستمرار معها، وهى ظروف طارئة تُلجئ الزوج إلى الطلاق، ولكنَّ الشريعة أصَّلت مبدأ الاستمرار فى العلاقة الزوجية، ونهت بشكل كبير عن الطلاق الذى يكون غير مُبرَّراً. وقد وردت روايات تنهى عنه بشكل يُثير الدهشة، لما تترتَّب عليه من آثارٍ سلبية، تهدم الأُسرة والمجتمع.

ومن الروايات فى هذا الصدد، قول رسول الله (ص) : «ما من شىء أبغض إلى الله عزّ وجل من بيت يخرب فى الإسلام بالفرقة(۱) »

وقال الإمام الصادق: «ما من شىء مما أحلّه الله أبغض إليه من الطلاق(۲) . »

وعن رسول الله (ص) ، قال: «تزوَّجوا ولا تطلِّقوا؛ فإنَّ الطلاق يهتزُّ منه العرش(۳) . »

من هنا يرد التساؤل: هل أنَّ الإمام الحسن (ع) ، عند اختياره لزوجاته،

-۱الوسائل، الحر العاملى، ج ۲۰، ص۱۶.

-۲الكافى، ج۶، ص ۵۴؛ سنن أبى داود، السجستانى، ج ۱، ص۴۸۴.

-۳الوسائل، الحر العاملى، ج ۲۲، ص۹؛ الجامع الصغير، السيوطى، ج ۱، ص۵۰۵؛ تفسير القرطبى، ج۱۸، ص ۱۴۹.

لم‌يكن دارساً لهذا الموضوع دراسةً دقيقة وموضوعية؛ بحيث لا يترتّب عليه هذه الآثار، وهو سليل النبوّة وهو الإمام المعصوم؟

بالطبع العقل لا يمكن أن يصدّق بهذه المقولة؛ لأنَّ الإمام هو سيّد شباب أهل الجنة، وهو العارف بالتشريعات الإسلامية الناهية عنه، فلا يمكن أن يتجرّأ الإمام ليهزّ عرش الرحمن مئة مرة أو أكثر، أو أن يُخرّب بيوت الإسلام بالفرقة. أضف إلى ذلک أنَّ هذا يتنافى ويتصادم مع معيار عدم المطابقة مع شأن وأدب الأئمَّة وخلقهم الذى تقدَّم الكلام عنه، بل ويتصادم مع الواقع أيضاً.

-۶واقع المرحلة التى يعيشها الإمام الحسن تأبى قبول هذا العدد المبالغ فيه

إنَّ الواقع الذى كان يعيشه الإمام الحسن (ع) ، فى تلک الفترة الحسّاسة والحرجة، تمنعه قهراً عن التفكير بهذه الكثرة من الزوجات، فضلاً عن القيام به، ابتداءً بالحروب التى نشأت فى زمن أبيه، فى صفين والنهروان والجمل وغيرها، وانتهاءً

بخلافته وما مرّ بها من أزمات مع معاوية، وعدمُ فهم، بل وجهل الأُمّة لدور الإمام الحسن فى الصُلح. . . إلى أن انتهت حياته شهيداً بالسمّ على يد زوجته.

فهل يُعقَل بعد هذا كلّه، أن يكون كل همّ الإمام الحسن (ع) هو الزواج والطلاق، ويترک المهام المُلقاة على عاتقه، وهى حفظ الرسالة، والإسلام برمَّته، ممَّن يتربَّصون به، من أمثال معاوية، المعروف بدهائة وانتهازه للفرص للوقيعة بالإمام (ع) ؟!

إذن، ممَّا تقدَّم يتَّضح بطلان وافتعال هذه الدعوى، وأنَّها لا ترقى لمستوى الصحة، وإنْ وردت فيها بعض الأسانيد الصحيحة، وكما تقدّم، إنَّها تتصادم مع بعض المعايير، التى تخرجها عن دائرة الاعتبار، كالكتاب والسنّة والعقل،

ص:١٠٧

والواقع، وغير ذلک. وبالتالى فهذه الروايات لا تصلح للإثبات، فهى مخدوشة من حيث دلالتها على صحّة هذه الوقائع.

الخلاصة

إنَّ هذه الروايات، بمُجملها، محل نظر؛ لأنَّها تتصادم مع بديهيات ومسلَّمات الكتاب والسنّة، والتأريخ والعقل والواقع، فلا يمكن أن نذعن ونصدِّق بها.

إذن، نعتقد أنَّ هناک تجنّ وافتعال واضح على الإمام الحسن فى هذه

الشُبهة، وهو برىء منها، وقد تقدَّم فى بحوثنا السابقة أنَّ الإمام الحسن عاش لحظات حرجة مع أُمته وجيشه، وكيف عالج الأُمور بحكمة وعقلانية قلَّ نظيرها، وحفظ الإسلام والشيعة بأتمِّ وجه.

ص:١٠٩

الشبهة الثالثة: اختلاف الحسنان (عليهما السلام) فىالسلم و الحرب

اشارة

لعل واحدة من الشبهات المثارة هى: أنَّ الإمام الحسن (ع) اختار الصلح فلماذا آثر الصلح والدعة والراحة دون التضحية والشهادة والجهاد؟ مع ان الامام الحسين (ع) آثر الاصلاح و اختار طريق الجهاد فاختلف السيرتان.

الجواب: حقائق لها مدخلية فى حلِّ هذه الإشكالية

لفهم هذا التساؤل، لابدَّ أن نوضِّح بعض الحقائق التى لها مدخلية فى حلِّ هذه الإشكالية.

الحقيقة الأُولى: تأصيل الدور الفقهى لعملية الصلح أو الحرب فى الإسلام

اشارة

الفقه الإسلامی یقرِّر حقیقة أنّه لیس الصلح أو الحرب هما القاعدة، بل متی ما اقتضت الضرورة والمصلحة والهدف وحقوق المسلمین، فلابدَّ أن یُؤخَذ القرار الصائب فی تشخیص هذه الضرورة، وتقدیم أحدهما علی الآخر، سواء کانت الحرب أم الصلح، فالمعیار هو المصلحة الإسلامیة العُلیا للإسلام، مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف
التی تتلاءم مع کلا الأمرین، سواء کان الصلح أم الحرب .

ص:۱۱۰

آراء الفقهاء

اشارة

ولو تتبَّعنا آراء الفقهاء فی هذه المسألة، نجد أنَّهم یعطون الضابط والمعیار فیها، وهو تقدیم مصلحة المسلمین فی هذا الشأن.

۱ .العلامة الحلّی

قال فی جواز المهادنة والصلح: «وهی المعاهدة علی ترک الحرب مدَّةً من غیر عوض، وهی جائزة مع المصلحة للمسلمین، وواجبة مع حاجتهم إلیها، أمّا لقلّتهم، أو لرجاء إسلامهم مع الصبر، أو ما یحصل به الاستظهار(۱) . «

۲ .الشهید الثانی

قال فی جواز المهادنة أیضاً: «وهی جائزة مع المصلحة للمسلمین، لقلّتهم أو رجاء إسلامهم مع الصبر، أو ما یحصل به الاستظهار، ثُمَّ مع الجواز قد تجب مع حاجة المسلمین إلیها، وقد تُباح لمجرَّد المصلحة التی لاتبلغ حدّ الحاجة. ولو انتفت (المصلحة) انتفت الصحّة(۲). «

۳ .العلامة الطبرسی

قال: «جواز الصلح مع الکفار والبُغاة، إذا خاف الإمام علی نفسه، أو علی المسلمین، کما فعله رسول الله (ص) عام الحدیبیة، وفعله أمیر المؤمنین (ع) بصفّین، وفعله (ع) مع معاویة من المُصالحة؛ لمّا تشتت أمره، وخاف علی نفسه وشیعته « .(۳)

-١قواعد الأحكام، العلامة الحلى، ج١، ص٥١۶.

-٢شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثانى، ج٢، ص ۴٠٠.

-٣تفسير مجمع البيان، الطبرسى، ج ٢، ص٣٥.

ص:١١١

.۴العلامة مرتضى المطهرى

قال: «لو سُئلنا: هل الإسلام دين صُلح أم دين حرب؟ فبماذا نجيب؟ فإذا رجعنا إلى القرآن، نرى تشريع الحرب كما نرى تشريع الصلح، فالآيات التى تدعو للحرب مع الكفار والمشركين كثيرة، كقوله تعالى: (وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا) (البقره:١٩٠) . وغيرها من الآيات، كما أنَّ هناك آيات فى الصلح، كقوله تعالى: (وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها) (الأنفال:۶١) . وفى آية أخرى (وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ) (النساء:١٢٨. (

إذن، الإسلام دين أيّهما؟ الإسلام لا يجعل الصلح قاعدة فى كل الظروف، كما أنَّه لا يقبل الحرب دائماً، بل هما تابعان للظروف والأهداف، والمسلمون سواء كانوا فى زمن الرسول (ص) أم فى زمن أميرالمؤمنين (ع) ، أم فى زمن الإمام الحسن، أم فى زمن الإمام الحسين، أم الأئمّة الآخرين (عليهم السلام) أم فى زماننا، ففى كل زمان، وعلى أىِّ حال، يجب أن يكون سعيهم لتحقيق الهدف، وهدفهم الإسلام وحقوق المسلمين. يجب أن يأخذوا الظروف والأوضاع بعين الاعتبار، فإن كانوا بالقتال يمكنهم تحقيق الهدف فى شكل أفضل، فعليهم سلوك هذا الطريق، وإذا رأوا أحياناً أنَّ الهدف يمكن تحقيقه بالصلح بشكل أفضل، فعليهم اختيار هذا السبيل(١) . «

.۵العلامة العينى

قال: «قال أصحابنا: يجوز الصلح مع الكفار بمالٍ يُؤخَذ منهم أو يدفع إليهم، إذا كان الصلح خيراً فى حقِّ المسلمين(٢). «

-١سيرة الائمة الأطهار، مرتضى المطهرى، ص ۶٨.

-٢عمدة القارى، العينى، ج ١۴، ص ١٨.

ص:١١٢

إذن، فجواز الصلح والحرب خاضع للمصلحة وحقوق الناس، فإذا تحدَّدت المصلحة بأحدهما، جاز للإمام أو الحاكم أن يختار الأصلح وفقاً لهذه الضرورة.

الحقيقة الثانية: تنوُّع الدور ووحدة الهدف

اشارة

وهذا ما نطق به السيد الشهيد الصدر قائلاً: وفى عقيدتى، إنَّ وجود دور مشترک مارسه الأئمّة جميعاً، ليس مجرد افتراض نبحث عن مبرِّراته التاريخية، وانَّما هو ممَّا تفرضه العقيدة نفسها، وفكرة الإمامة بالذات؛ لأنَّ الإمامة واحدة فى الجميع، بمسؤولياتها وشروطها، فيجب أن تنعكس انعكاساً واحداً فى شروط الأئمَّة (عليهم السلام) وأدوارهم، مهما اختلفت أدوارها الطارئة بسبب الظروف والملابسات، ويجب أن يُشكِّل الإئمَّة بمجموعهم وحدةً مترابطة الأجزاء، ليواصل كلَّ جزءٍ من تلک الوحدة الدور للجزء الآخر ويكمِّله(١). «

إنَّ أدوار الأئمَّة (عليهم السلام) فى المنظومة الشيعة تُمثِّل وحدة متكاملة فى الأسلوب والمنهج، وإن اختلفت طريقة العمل، تبعاً للظروف والملابسات التى تحيط بكل إمام من أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) ، وأهدافهم هى صيانة الإسلام من الانحراف، وهو واحد لا ينفصل ولا يتجزأ.

وفى ظلِّ هذه النظرية التى أصّل لها السيد محمد باقر الصدر، فلا يمكن أن نفصل ما جرى، أو ما فعله الإمام الحسن (ع) فى الصلح مع معاوية، عن الموقف الحسينى الذى قاتل يزيد واستشهد، فلا تناقض فى الموقف، بل هما صحيحان وينسجمان مع طبيعة الموقف الذى مرَّ به كل إمام فى ذلک الظرف

١-أهل البيت تنوُّع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، ص١٤٢.

الذى عاشه فى تلک الفترة، والهدف هو صيانة الإسلام والدين من الانحراف.

فلو فرضنا أنَّ الامام الحسين (ع) هو الأكبر سناً من الحسن، فعمله سيكون الصُلح مع معاوية، والعكس أيضاً سيفعله الإمام الحسن (ع) مع يزيد، وسوف يبذل نفسه الشريفة للحفاظ على هذا الهدف.

الأمَّة فى زمن الإمام الحسن كانت تعيش مرض الشک

لذا كان يرى السيد الشهيد أنَّ الأُمَّة فى ظرف الإمام الحسن (ع) كانت تعيش محنة أو مرض الشک، وهذا المرض أيضاً عاشته الأُمّة فى زمن أبيه (ع: (

ذلک الشکُّ الذى نما عند الأُمّة فى زمن أمير المؤمنين (ع) ، بالرغم من أنَّه لم يكن يوجد له أى مبرّر موضوعى، وبالرغم

من هذا، استفحل هذا الشک، وامتُحن هذا الإمام العظیم (ع) بهذا الشک، ومات واستشهد والأُمَّة شاکَّة. . . ثُمَّ استسلمت الأُمَّة بعد هذا، وتحوّلت إلی کُتلة هامدة بین یدی الإمام الحسن (ع) ، هذا کلّه بالرغم من أنَّ الشک لم یکن له مبرّر موضوعی، فکیف إذا افترضنا أنَّ الشک وُجدت له مبرِّرات موضوعیة بحسب الصورة الشکلیة(۱).

إذن، کیف یعالج الإمام الحسن داء الشک فی الأُمَّة؟ ! فرأی أنَّ الحل الوحید، والأسلم، هو الصلح مع معاویة، وله مبرّراته التی فرضت علیه هذا الحل؛ لأنَّ معاویة حاول أن یخدع الأُمَّة وینصب نفسه الخلیفة الشرعی لرسول الله (ص) ، وسوف نوضِّح هذه المبرِّرات فی النقطة اللاحقة.

-۱أهل البیت تنوُّع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، صص۱۱ و۱۲.

وأمَّا الإمام الحسین (ع) ، فیری السید الشهید أنَّ الأُمَّة فی تلک الفترة وذلک الظرف قد ضعفت إرادتها وماتت، وقد أصبحت لا تملک ایّ ارادة فی الرفض والاحتجاج، بل أصبحت یدها ولسانها ملک لشهواتها. قد فقدت إرادة التغییر لأوضاعها الفاسدة، قلوبهم مع الإمام، ولکنَّ سیوفهم علیه(۱).

وفی هذا إشارة لما قاله الفرزدق: «لقینی الحسین (ع) فی منصرفی من الکوفة، فقال: ما وراءک یا أبا فراس؟ قلت: أأصدقک؟ قال (ع) : الصدق أرید، قلت: أمَّا القلوب فمعک، وأمَّا السیوف فمع بنی أُمیَّة، والنصر من عند الله.

قال: ما أراک إلّا صدقت، الناس عبید المال، والدین لَعِقٌ علی ألسنتهم، یحوطونه ما درَّت به معایشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلَّ الدیّانون(۲). «

فجاءت ثورته وشهادته صرخة مدویة لاستنهاض الأُمّة من رقدتها وسباتها، وبثّ الروح فیها من جدید، لإحیاء الدین الصحیح الذی جاء رسولالله (ص. (

إذن، فلا توجد مخالفة أو مغایرة بین الفعلین، بین الصلح وبین الحرب.

الحقیقة الثالثة: الخط الأموی یری أنَّ الرسالة لیست إلاّ مُلک وسلطان

مقولة أبو سفیان: (هو المُلک، ولا أدری ما جنّة ولا نار(

وهذه الحقیقة جسّدها أبو سفیان حینما أطلق مقولته المشهورة، کما رواها الحسن البصری، ونقلها ابن عبدالبر:

-١دور أئمة أهل البيت فى الحياة السياسية، عادل أديب، ص ٢٠٠.

-٢كشف الغمة، ج٢، ص ٢٤١.

ص:١١٥

عن الحسن، أنَّ أباسفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: قد صارت إليک بعد تيم وعدى، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بنى أُميّة، فإنّما هو المُلک، ولا أدرى ما جنة ولا نار(١).

وكذلک ما تفوَّه به أبو سفيان أيضاً، حينما قال للعباس، قبل عام الفتح: لقد أصبح مُلک ابن أخيک عظيماً، فقال له العباس: ويحک، إنَّه ليس بمُلک، إنَّها النبوَّة(٢) .

فأبوسفيان يرى أنَّ ما جاء به محمد (ص) هو لأجل الملک، فلا جنة ولانار فى نظره.

مقولة معاوية (لا والله إلاّ دفناً دفنا(

وانعكس هذا الأمر بصورة جليّة على ابنه معاوية، فسار على نفس المنهج الذى ورثه من أبيه، ولعلَّ ما سنذكره من نصٍّ أو محاورة دارت بين معاوية والمغيرة بن شعبة، تكشف عن هذا الأمر بجلاءٍ ووضوح.

فقد روى الزبير بن بكار – الذى يقول عنه ابن أبى الحديد: إنّه غير متّهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة على (ع) ، والانحراف عنه(٣)عن مطرف بن المغيرة بن شعبة، أنّه قال:

وفدت مع أبى المغيرة إلى معاوية، فكان أبى يأتيه يتحدَّث عنده، ثُمَّ

-١الاستيعاب، ج ۴، ص ١۶٧٩؛ النصائح الكافية، ابن عقيل، ص١١٠.

-٢المعجم الصغير، ج ٢، ص٧٥؛ تاريخ الإسلام، ج ٢، ص٥۴١؛ شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص١٧٥.

-٣ونفس هذا الكلام كرَّره ابن عقيل فى: النصائح الكافية، ص ١٢۴. قال: «الزبير بن بكار هذا هو قاضى مكة، وهو مشهور فى المحدّثين، ومن رواة الصحيح، وهو غير متَّهم على معاوية، لعدالته وفضله، مع أنَّ فى الزبير بين كما علمت بعض انحراف عن على كرَّم الله وجهه. «

ص:١١۶

ينصرف إلىَّ فيذكر معاوية ويذكر عقله، ويعجب ممَّا يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسک عن العشاء، فرأيته مغتمّاً، فانتظرته ساعة، وظننتُ أنّه لشىءٍ حدث فينا أو فى عملنا، فقلت له: مالى أراک مغتماً منذ الليلة؟ قال: يا بنى، إنّى جئت من عند

أخبث الناس، قلت له: وما ذاک؟ قال: قلت له، وقد خلوت به: إنَّک قد بلغت یا أمیرالمؤمنین، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خیراً، فإنّک قد کبُرت، ولو نظرت إلی إخوتک من بنی‌هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم الیوم شیء تخافه. فقال لی: هیهات، هیهات، ملک أخو تیم فعدل، وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلک، فهلک ذکره، إلّا أن یقول قائل: أبو بکر، ثُمَّ ملک أخو عدی، فاجتهد وشمّر عشر سنین، فوالله ما غدا أن هلک، فهلک ذکره، إلّا أن یقول قائل: عمر، ثُمَّ ملک أخونا عثمان، فملک رجل لم یکن أحد فی مثل نسبه، فعمل ما عمل، وعمل به، فوالله ما غدا أن هلک فهلک ذکره، وذکر ما فعل، وأنَّ أخا هاشم یصرخ به فی کل یوم خمس مرات، أشهد أنَّ محمداً رسول الله، فأیُّ عمل یبقی مع هذا لا أُمَّ لک؟ ! لا والله إلّا دفناً دفناً(۱) .

بل إنَّ الأمر لو خلی لمعاویة فلن یبقَ من بنی هاشم نافخ نار، وهذا ما صرَّح به أمیر المؤمنین علی (ع) حینما قال: «والله لودّ معاویة أنَّه ما بقی من بنی‌هاشم نافخ ضُرمة(۲)إلّا طعن فی نیطه(۳)، إطفاءً لنور الله، ویأبی الله إلّا أنْ

۱-الزبیر بن بکار، الموفقیات، ص ۴۶۲؛ شرح نهج البلاغة، ج ۵، ص ۱۳۰؛ النصائح الکافیة، ص۱۴۲؛ کشف الغمة، ج۲، ص ۴۶؛ بحارالأنوار، ج ۳۳، ص ۱۶۹.

۲-الضرمة: النار، وهذا یقال عند المبالغة فی الهلاک، لأنَّ الکبیر والصغیر ینفخان النار. لسان العرب، ابن منظور، ج۱۲، ص ۳۵۵.

۳-النیط: الموت، وطعن فی نیطه، أی فی جنازته إذا مات. لسان العرب، ج۷، ص ۴۲۱.

یُتمَّ نوره ولو کره الکافرون(۱) . «

ومع کل ما فعله معاویة، ولکن الأُمَّة کانت تعیش الشک کما تقدّم؛ لانَّ «معاویة شخص قد مارس عمله الإداری والسیاسی بعد وفاة رسول‌الله (ص) بأقلٍّ من سنة، خرج إلی المدینة وذهب إلی الشام کعاملٍ علیها، وبقی معاویة هناک مدلّلاً محترماً معزَّزاً من قِبل ابن الخطاب، الذی کان یُنظَر إلیه بشکل عام فی المجتمع الإسلامی بنظرة الاحترام والتقدیر، حتی أنَّ عمر بن الخطاب حینما أراد أن یُؤدِّب ولاته، استثنی معاویة من هذا التأدیب، وحینما أراد أن یُقاسم أموال ولاته، استثنی معاویة من ذلک! فمعاویة کان والیاً موثوقاً به، معزَّزاً من الناحیة الإسلامیة عند ابن‌الخطاب، وبعد هذا جاء عثمان، فوسّع من نطاق ولایة معاویة، وضمَّ إلیه عدَّة بلدان أُخری، إضافةً إلی الشام، ولم یطرأ أیّ تغییر فی ابن أبی‌سفیان، فمعاویة لم یکن شخصاً مکشوفاً، بل کان شخصاً عنوانه الاجتماعی أنَّه حریص علی کرامة الإسلام(۲) . «. . .و حیث کان معاویة صاحب شخصیة

تتظاهر بالصلاح و الدفاع عن الاسلام، كان لزاماً على الإمام الحسن (ع) أن يكشف القناع عن حقيقة شخصية معاوية وأما يزيد، فكان صاحب شخصية معروفة بالفسق و الفجور، ولم يكن شک فی قلب أحد حول ابتعاده عن الحق.

فهنا الإمام الحسن (ع) يعلم أنَّ الأُمَّة تعيش حالة مرض الشک، ويعلم أيضاً أنَّ مُجرَيات الأحداث التی مرَّ بها، من الخذلان الذی ساد جيشه، وكذلک ما فعله معاوية من شراء الذمم، يعلم أنَّه لو دخل فی مضمار الحرب، تكون النتيجة أسر الإمام (ع) وقتل جميع شيعته، وبهذا يستطيع معاوية تضليل

-١غريب الحديث، ابن قتيبة، ج ١، ص ٣۶٧.

-٢أهل البيت تنوُّع أدوار ووحدة هدف، ص١١٠.

الرأی العام وتشويه الحقائق والتأريخ، ويفرض معاوية شروطه التی يريدها هو، وبهذا يضع معاوية حجر الأساس لمحو الإسلام، ويُفصّله بمقياسات أموية، بعيدة كل البعد عن ما جاء به رسول الله (ص. (

أو أن يحفظ شيعته ونفسه، ويضع شروطاً يكون لها الدور فی كشف معاوية للناس، وبيان أنَّه مخادع ماكر، وبذلک يفوّت عليه فرصة تنفيذ ما يخطِّط له.

وبالفعل كان الصُلح هو البذرة فی نجاح المشروع الحسنی، الذی أحبط المشروع الأموی، وخير مثال على نجاح الصُلح هو قول معاوية، بعد أيّام من قبوله شروط الامام:

»والله إنّی ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولالتحجُّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لَتفعلون ذلک، وإنّما قاتلتكم لأتأمَّر عليكم، وقد أعطانی الله ذلک وأنتم كارهون (١). «وفی نصٍ آخر مشابه، قال:

أترونی قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنَّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ! ولكنّنی قاتلتكم لأتأمَّر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتانی الله ذلک وأنتم كارهون، ألا إنَّ كل مالٍ أو دمٍ أُصيب فی هذه الفتنة فمطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمیَّ هاتين(٢).

فهنا معاوية كشف وأسفر عن وجهه الحقيقی، فليس الهدف هو الصلاة أو الصوم أو الحج. . . بل الإمرة والملک والسلطان. وهذا ما نطق به أبوه قبله: «والذی يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولاجنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة «! (٣).

-١المصنف، ابن أبی شیبة، ج ٧، ص ٢٥١؛ شرح الأخبار، القاضی النعمان المغربی، ج ٢، ص ٥٣٣.

-٢شرح نهج البلاغة، ج١۶، ص ١۵.

-٣المصدر نفسه، ج ٩، ص ۵٣.

ص:١١٩

وكذلک تأميره لابنه يزيد الخلافة، حينما أخذ له البيعة بالقهر والسيف، عندما خطب بالناس:

فإنّی قد أحببت أن أتقدَّم إليكم، إنَّه قد أعذر من أنذر، إنّی كنت أخطب فيكم فيقوم إلیَّ القائم منكم فيكذّبنی على رؤوس الناس، فأحمل ذلک وأصفح، وإنّی قائم بمقالة، فأقسم بالله لئن ردَّ علیَّ أحدكم فی مقامی هذا، لا ترجع إليه كلمة غيرها حتی يسبقها السيف إلی رأسه، فلا يبقينَّ رجل إلّا علی نفسه.

ثُمَّ دعا صاحب حرسه بحضرتهم، فقال: أقم علی رأس كل رجل من هؤلاء رجلَين، ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يردّ علیَّ كلمة، بتصديق أو تكذيب، فليضرباه بسيفهم(١) .

ومعاوية يعلم أنَّ يزيد لا يستحقّ الخلافة، فهو ذلک الإنسان الشارب للخمر، اللاعب بالقرود، قاتل النفس المحترمة. وهذا المعتضد بالله العباسی يشرح مآثر معاوية، وكيف استخلف يزيد للحكم والخلافة بلا وجه حقّ، قال:

إيثاره (أی معاوية) بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلی ابنه يزيد، المتكبّر الخمير، صاحب الديوک والفهود والقرود، وأخذه البيعة له علی خيار المسلمين، بالقهر والسطوة والوعيد، والإخافة والتهديد والرهبة، وهو يعلم سفهه، ويطَّلع علی خُبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلمَّا تمكَّن منه ما مكَّنه منه، ووطَّأه له، وعصی الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرَّة الوقيعة، التی لم يكن فی الإسلام أشنع منها، ولا أفحش ممّا ارتكب من الصالحين

-١الكامل فی التأريخ، ج ٣، ص ۵١٠.

ص:١٢٠

فيها، وشفی بذلک عبد نفسه وغليله، وظنَّ أنْ قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوی لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره، ومُظهراً لشركه:

ليت أشياخی ببدرٍ شهدوا

جزعَ الخزرج من وقع الأسل

قدقتلنا القرم من ساداتكم

وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فأهلوا واستهلوا فرحاً

ثم قالوا يا يزيد لا تسل

لعبت هاشم بالملک فلا

خبر جاء و لا وحی نزل(۱)

إذن، لو فرضنا أنَّ الامام الحسن (ع) اختار طريق الشهادة، فهل يحقِّق المصلحة التى يرجوها الإمام، وهى حفظ الإسلام من مكرِ معاوية، أو أن النتيجة تكون فى صالح معاوية، والأُمّة تكون شاكّة ليومنا هذا؟!

وللأسف نجد اليوم مَن يدافع عن معاوية وأفعاله التى فرَّقت الأُمّة شيعاً شيعاً، والتى يصفها العقاد، بجرأته المعهودة، أنّه:

لو حاسب التاريخ معاوية حسابه الصحيح، لما وصفه بغير مُفرِّق الجماعات، ولكن العبرة لقارئ التاريخ فى زنة الأعمال والرجال أن تجد من المؤرِّخين مَن يُسمِّى عامه، حين انفرد بالدولة، (عام الجماعة) ؛ لأنَّه مزَّق الأُمَّة شيعاً شيعاً! ! فلا تعرف كيف تتَّفق إذا حاولت الاتفاق، وما لبث أن تركها بعده تختلف فى عهد كل خليفة، شيعاً شيعاً، بين ولاية العهود(۲)!

فكيف لو لم يضع الإمام الحسن (ع) بصُلحه على الموضع الذى يكشف لنا تأريخ معاوية وأفعاله؟!

إذن، فهل يصح أن نقول: إن الامام لم يستشهد أو يموت؛ لأنَّه اختار حياة الدعة والراحة؟

۱-تأريخ الطبرى، ج ۸، ص ۱۸۷.

۲-معاوية، العقاد، ص ۴۲.

الخاتمة

ممَّا تقدم يمكن أن نقول: إنَّ الإمام الحسن (ع) ، عند إقدامه على مشروع الصلح، كان يرى مصلحة الإسلام، والوظيفة الشرعية اقتضت أن يقدِّم هذا الحلّ، بمقتضى مُعطَيات ذلک الظرف الذى عاشه.

ومن السذاجة بمكانٍ أن يُتَّهم الإمام الحسن (ع) بعدم الشجاعة، ومقارنته بأخيه الحسين (ع) ؛ فلكلٍّ مرحلته وظروفه التى تُحتِّم عليه العمل طبقاً لتلک المرحلة، مضافاً إلى ذلک أنَّ الحُكم على قضيةٍ ما، لابدّ أن تُدرس من جميع الجوانب و كل الاطراف ثُمَّ الحكم عليها.

فهناک القائد وهناک الأُمَّة، وهناک العدو اللدود المخادع لهما. فهل کانت الأُمّة التی حکمها الإمام تسیر بشکل طبیعی، وفق ما یرسمها لها قائدها، أم أنَّها أُمّة مشلولة مبتلیة بالشکّ، کما تقدّم فی بحوثنا السابقة؟ ! لذا مهمّة القائد أن ینتشل هذا المریض ممّا أصابه، ویعید إلیه بعض ما فقده؛ لذا جاء الصُلح، لکی تُستنهَض تلک النفوس من کبوتها، وتعید حساباتها مرَّة أُخری، فالإسلام کاد أن یُقضی علیه بأفعال معاویة، ولکن شاءت الأقدار أن یأتی الصُلح ویفضح ما حیک له، ویکشف للأُمَّة ما کان مُعداً لها سلفاً، فالصلح

ضرورة فرضتها حکمة وعقلانیة الإمام، وسقط ما فی ید معاویة. معاویة الذی قال له ابن عباس: ألا تکفّ عن شتمِ هذا الرجل؟ ! قال: ما کنت لأفعل حتی یربو علیه الصغیر، ویهرم فیه الکبیر(۱) .ویقصد بذلک سبّ علی (ع) ودفن سیرته، وبالتالی دفن الإسلام برُمَّته. ولکن «هی أُمنیة لم‌تتحقّق لک یا طاغیة الشام، فقد ربا الصغیر وهرم الکبیر، فی کل عصر ومصر، علی تمجید سیرة علی (ع) ، وعلی ذم افتنانک فی المکر والدهاء، وقد أبی الله إلَّا أنْ یُتمَّ نوره ولو کرهت «. . . (۲).

والحمد لله ربّ العالمین، وصلّی الله علی محمد وآله الطیِّبین الطاهرین.

۱-العثمانیة، الجاحظ، ص۲۸۵.

۲-الحسن بن علی، کامل سلیمان، ص ۱۸۰.

المراجع والمصادر

*القرآن الکریم

*نهج البلاغة

۱ .الاحتجاج، احمد بن علی الطبرسی، تعلیقات وملاحظات: السید محمد باقر، النجف الأشرف، دارالنعمان للطباعة والنشر، ۱۳۸۶ه. ق.

۲ .الأخبار الدخیلة، محمدتقی التستری، طهران، مکتبة الصدوق.

۳ .الإرشاد، محمد بن محمد الشیخ المفید، ط ۲، بیروت، دار المفید للطباعة والنشر والتوزیع، ۱۴۱۴ه. ق.

۴ .الاستیعاب، یوسف بن عبد البر، بیروت، دار الجیل.

۵ .الإصابة، احمد بن حجر العسقلانی، بیروت، دار الکتب العلمیة.

۶ .الأصول العامة للفقه المقارن، محمد تقی الحکیم، مؤسسة آل البیت (علیهم السلام) للطباعة والنشر.

۷ .أصول مذهب الشیعة، ناصر بن عبدالله القفاری، ط ۳، الجیزة، دار الرضا، ۱۴۱۸ه. ق.

۸ .أضواء علی السنة النبویة، محمود أبو ریة، ط ۵، البطحاء.

۹ .الأعلام، خیر الدین الزرکلی، ط۵، بیروت، دار العلم للملایین، ۱۹۸۰م .

ص:۱۲۴

۱۰ .أعیان الشیعة، محسن الأمین، بیروت، دار التعارف للمطبوعات.

۱۱ .الإمام الحسن القائد والتأریخ، فؤاد الأحمد، ط ۱، بیروت، دار البیان العربی، ۱۴۱۱ ه. ق.

۱۲ .الإمامة والسیاسة، عبدالله بن مسلم بن قتیبة الدینوری، تحقیق: طه محمد الزینی، مصر، مؤسسة الحلبی.

۱۳ .أهل البیت تنوُّع أدوار ووحدة هدف، محمد باقر الصدر، بیروت، دارالتعارف.

۱۴ .بحارالأنوار، محمدباقر المجلسی، ط ۲، بیروت، مؤسسة الوفاء، ۱۴۰۳ه. ق.

۱۵ .البدایة والنهایة، اسماعیل بن کثیر، تحقیق: علی شیری، ط۱، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱۴۰۸ه. ق.

۱۶ .تاج العروس، محمدبن مرتضی الزبیدی، تحقیق: علی شیری، بیروت، دارالفکر.

۱۷ .تاریخ ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، بیروت، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، ۱۳۹۱ه. ق.

۱۸ .تاریخ الإسلام، شمس الدین محمد الذهبی، ط۱، دار الکتاب العربی، ۱۴۰۷ه. ق.

۱۹ .تاریخ الخلفاء، جلال الدین السیوطی، تحقیق: محمد محیی الدین عبدالحمید، ط۱، مصر، مطبعة السعادة، ۱۳۷۱ه. ق.

۲۰ .التاریخ الصغیر، محمد بن إسماعیل البخاری، بیروت، دارالمعرفة.

۲۱ .تاریخ الطبری، محمد بن جریر الطبری، بیروت، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات.

ص:۱۲۵

۲۲ .تاریخ الیعقوبی، احمد بن ابی یعقوب الیعقوبی، بیروت، دار صادر.

۲۳ .تاریخ بغداد، ابوبکر بن الخطیب البغدادی، ط۱، بیروت، دارالکتب العلمیة، ۱۴۱۷ ه. ق.

۲۴ .تحف العقول، حسن بن علی بن شعبة الحرانی، قم المشرفة، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسین.

۲۵ .تذکرة الحفاظ، شمس الدین محمد الذهبی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۲۶ .ترجمة الإمام الحسن (ع) ، على بن عساكر، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودى، ط۱، بيروت، مؤسسة المحمودى للطباعة والنشر، ۱۴۰۰ه. ق.

۲۷ .تفسير القرطبى، محمدبن احمد القرطبى، بيروت، دار إحياء التراث العربى.

۲۸ .تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائى، قم المقدسة، منشورات جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية.

۲۹ .تفسير مجمع البيان، فضل بن الحسن الطبرسى، بيروت، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات.

۳۰ .تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، ط۲، بيروت، دار الأضواء، ۱۴۰۹ه. ق.

۳۱ .الحسن بن على، توفيق أبوالعلم، ط۳، القاهرة، دار المعارف.

۳۲ .الجامع الصغير، جلال الدين السيوطى، ط۱، بيروت، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ۱۴۰۱ ه. ق.

۳۳ .الحسن بن على، كامل سليمان، بيروت، دار المعارف.

۳۴ .خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوى، إيران، مؤسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية.

۳۵ .الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطى، بيروت، دار المعروف و مؤسسة الرسالة.

ص:۱۲۶

۳۶ .دور أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) فى الحياة السياسية، عادل أديب، بيروت، دارالتعارف.

۳۷ .الرسائل العشر، محمد بن الحسن الشيخ الطوسى، قم المقدسة، مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين.

۳۸ .روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

۳۹ .سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخارى، ط۱، الشريف الرضى، ۱۴۱۳ه. ق.

۴۰ .سنن أبى داود، السجستانى، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

۴۱ .سنن الترمذى، الترمذى، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

۴۲ .سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد الذهبى، بيروت، مؤسسة الرسالة.

۴۳ .سيرة الائمَّة الأطهار، مرتضى مطهرى، بيروت، دار الهادى.

۴۴ .شرح الأخبار، القاضى النعمان المغربى، قم المشرفه، مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين.

۴۵ .شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين بن على الشهيد الثانى، منشورات جامعة النجف الدينية.

۴۶ .الشيعة فى الميزان، محمد جواد مغنية، بيروت، دار التعارف للمطبوعات.

۴۷ .صحيح البخارى، محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخارى، بيروت، دارالفكر، ۱۴۰۱ه. ق.

۴۸ .صحيح مسلم، مسلم النيسابورى، بيروت، دار الفكر.

۴۹ .صلح الإمام الحسن أسبابه ونتائجه، محمد جواد فضل الله، قم، دار المثقف المسلم.

۵۰ .صلح الإمام الحسن، الشيخ راضى آل ياسين، منشورات الشريف الرضى.

ص:۱۲۷

۵۱ .الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيتمى، ط۱، بيروت، مؤسسة الرسالة، ۱۹۹۷م.

۵۲ .العثمانية، الجاحظ، مصر، دار الكتاب العربى.

۵۳ .عدّة الأصول، محمدبن الحسن الشيخ الطوسى، تحقيق: محمد رضا الأنصارى القمى، قم، ستاره.

۵۴ .معاوية، العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر.

۵۵ .علل الشرائع، محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (شيخ صدوق) ، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدرية، ۱۳۸۵ه. ق.

۵۶ .عمدة الطالب، أحمد بن على بن عنبة، ط ۲، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ۱۳۸۰ه. ق.

۵۷ .عمدة القارى، محمود بن احمد العينى، دار إحياء التراث العربى.

۵۸ .الغدير فى الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأمينى، ط۴، بيروت، دار الكتاب العربى، ۱۳۹۷ه. ق.

۵۹ .غريب الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، قم، دار الكتب العلمية.

۶۰ .فتح البارى – شرح صحيح البخارى، أحمد بن حجر بن حجر العسقلانى، ط۲، بيروت، دارالمعرفة للطباعة والنشر.

۶۱ .فرائد السمطين، ابراهيم بن محمد الجوينى الشافعى، حقّقه وعلّق عليه: الشيخ محمد باقر المحمودى، ط۱، بيروت، مؤسسة المحمودى للطباعة والنشر، ۱۴۰۰ ه. ق.

۶۲ .الفصول المختارة، الشريف المرتضى، ط۲، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ۱۴۱۴ ه. ق.

ص:۱۲۸

۶۳ .الفصول المهمة فى تأليف الأُمَّة، السيد عبدالحسين شرف الدين العاملى، قسم الإعلام الخارجى لمؤسسة البعثة.

۶۴ .الفصول المهمة فى معرفة الأئمَّة، على بن محمد بن الصباغ المالكى، تحقيق: سامى الغريرى، ط۱، دار الحديث للطباعة والنشر، ۱۴۲۲ه. ق.

۶۵ .الفصول فى الأصول، أحمد بن على الجصاص، تحقيق: الدكتور عجيل جاسم النشمى، ط۱، ۱۴۰۸ ه. ق.

۶۶ .فيض القدير، محمد عبدالرؤوف المناوى، بيروت، دار الكتب العلمية.

۶۷ .قراءة فى كتب العقائد، حسن بن فرحان المالكى، ط۱، عمان، مركز الدراسات التأريخية، ۱۴۲۱ ه. ق.

۶۸ .القرآن فی الإسلام، محمد حسین الطباطبائی، تعریب: السید أحمد الحسینی.

۶۹ .قواعد الأحکام، العلامۀ الحلی حسن بن یوسف، قم المشرفۀ، مؤسسۀ النشر الإسلامی التابعۀ لجماعۀ المدرسین.

۷۰ .قوت القلوب، أبوطالب المکی، بیروت، دار الکتب العلمیۀ.

۷۱ .الکافی، محمد بن یعقوب الکلینی، طهران، دار الکتب الإسلامیۀ.

۷۲ .الکامل فی التاریخ، علی بن ابن الکرم بن الأثیر، بیروت، دار صادر، ۱۳۸۶ه. ق.

۷۳ .کشف الغمۀ، علی بن عیسی الاربلی، بیروت، دار الأضواء.

۷۴ .الکفایۀ فی علم الدرایۀ، ابوبکر بن الخطیب البغدادی، ط۱، بیروت، دارالکتاب العربی، ۱۴۰۵ ه. ق.

۷۵ .کمال الدین وتمام النعمۀ، شیخ الصدوق، محمد بن علی، قم المقدسۀ، مؤسسۀ النشر الإسلامی التابعۀ لجماعۀ المدرسین، ۱۴۰۵ه. ق.

۷۶ .لسان العرب، محمد بن مکرم بن منظور، ط۱، بیروت، دار صادر.

ص:۱۲۹

۷۷.لسان المیزان، أحمد بن حجر العسقلانی، بیروت، دار المعرفۀ للطباعۀ والنشر.

۷۸ .المحاسن، احمد بن محمد البرقی، طهران، دار الکتب الإسلامیۀ.

۷۹ .المختصر من أخبار البشر، أبو الفداء، القاهرۀ، مکتبۀ المتنبی.

۸۰ .مروج الذهب، علی بن الحسین المسعودی، بیروت، دار المعرفۀ.

۸۱ .مسند أحمد، أحمد بن حنبل، بیروت، دار صادر.

۸۲ .مصباح الهدایۀ فی إثبات الولایۀ، علی البهبهانی، أهواز، مدرسۀ دار العلم.

۸۳ .مطالب السؤول، محمد بن طلحۀ الشافعی، تحقیق: ماجد بن أحمد العطیۀ، ط۱، مؤسسۀ أم القری، ۱۴۲۰ه. ق.

۸۴ .مع عبدالله السعد، حسن بن فرحان المالکی، ط۱، عمان، مرکز الدراسات التأریخیۀ، ۱۴۲۲ ه. ق.

۸۵ .المعجم الصغیر، سلیمان بن أحمد الطبرانی، بیروت، دار الکتب العلمیۀ.

۸۶ .معجم شیوخ الذهبی، شمس الدین محمد الذهبی، ط۱، بیروت، دار الکتب العلمیۀ، ۱۴۱۳ ه. ق.

۸۷ .معرفۀ علوم الحدیث، محمد بن عبدالله الحاکم النیسابوری، ط۴، بیروت، منشورات دار الآفاق الحدیث، ۱۴۰۰ ه. ق.

۸۸ .مفردات غریب القرآن، حسین بن محمد الراغب الأصفهانی، ط۲، دفتر نشر الکتاب، ۱۴۰۴ ه. ق.

۸۹ .مقاتل الطالبیین، أبوالفرج الأصبهانی، ط۲، النجف الأشرف، منشورات المکتبۀ الحیدریۀ ومطبعتها، ۱۳۸۵ه. ق.

٩٠ .مناقب آل أبی طالب، محمد بن علی بن شهر آشوب، النجف الأشرف، المطبعة الحیدریة، ١٣٧۶ه. ق.

٩١ .الموفقیات، الزبیر بن بکار، بیروت، عالم الکتب.

ص:١٣٠

٩٢ .النصائح الکافیة، محمد بن عقیل، قم المقدسة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١۴١٢ه. ق.

٩٣ .الوافی بالوفیات، خلیل بن ایبک الصفدی، بیروت، دار إحیاء التراث.

٩۴ .الوسائل، محمد بن الحسن الحر العاملی، قم المشرفة، مؤسسة آل البیت (علیهم السلام) لإحیاء التراث.

٩۵ .ینابیع المودَّة، سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی، دار الأُسوة للطباعة والنشر .